

رسالة

تنزيه الذات والصفات من درن الاحاد والشبهات

لبعض علماء بحر العلوم

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ، ومحبي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز بن آل سعود

ملك النجدة ونجدة ومخلصنا

(وقد وقفها على من ينتفع بها من أهل العلم والدين)

لا يحل لمن وقعت بيده بيعها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الانسان لعبادته ، وشرفه بخطابه ورسالته ، وأمره ونهاه ، وألهمه فجوره وتقواه ، لما أراد منه وقدره عليه ، ليكون مصيره ومنتهاً إليه . لا إله إلا هو ولا رب سواه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله (أما بعد) فقد قال الله سبحانه وتعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون * ما اريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون * ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) اي ان الله سبحانه غني كريم عزيز حكيم فهو محسن إلى عبده مع غناؤه عنه ، يريد به الخير ويكشف عنه الضر لا لطلب منفعة ولا لدفع مضرة ، بل رحمة منه وإحساناً ، فهو سبحانه لم يخلق خلقه ليستكثر بهم من قلة ، ولا ليعتز بهم من ذلة ، ولا ليرزقوه ولا لينفعوه ولا ليدفعوا عنه بل ما خلقهم (إلا ليعبدوه) حق عبادته . وأما العباد فانهم لفقرهم وحاجتهم إنما يحسن بعضهم إلى بعض لحاجته وانتفاعه به عاجلاً أو آجلاً ، ولولا تصور ذلك النفع لما احسن اليه ، فهو في الحقيقة انما أراد الاحسان الى نفسه ، وجعل احسانه الى غيره وسيلة وطريقاً الى وصول ذلك الاحسان اليه ، فانه إما أن يحسن اليه لتوقع جزائه في العاجل فهو محتاج الى ذلك الجزاء معاضاً باحسانه ، أو لتوقع حمده وشكوه ، فهو محسن الى نفسه باحسانه الى غيره ، وإما ان يريد الجزاء من الله في الآخرة فهو ايضا محسن الى نفسه بذلك كما قال تعالى (ان احسنتم احسنتم لانفسكم) وقال تعالى (وما تفعلوا من خير يوف اليكم) وقال رسول الله ﷺ فيما رواه عن ربه عز وجل « يا عبادي انكم لن تبغوا ضري فتضروني ، ولن تبغوا نفعي فتتفغنوني ، انما هي اعمالكم احصيتها لكم ثم اوفيكم اياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن

الا نفسه » وقال تعالى (أنحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ؟) اي لعباً وباطلاً لا لحكمة ، وهو منصوب على الحال اي عابثين ، وقيل للعبث ، اي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا لثواب ولا عقاب ، وهو مثل قوله (أنحسب الانسان ان يترك سدى ؟) وانما خلقتم للعبادة واقامة اوامر الله تعالى واجتناب نواهيه (و) حسبتم (انكم الينا لا ترجعون) في الآخرة لنجازيكم بما عملتم ، ولولا ذلك اليوم لما تميز المطيع عن العاصي والصادق عن الزنديق ، ويكون هذا الخلق عبثاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وأول ما يدرع سمعك في المصحف من الامر - بعد ما بين الله مراتب الخلق بين مؤمن وكافر ومنافق - (يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) وقال تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) أمر تعالى بعبادته وحده لا شريك له ، فانه الخالق الرازق المتفضل على خلقه بآلائه في جميع الحالات فهو المستحق منهم ان يوحده في عبادته لا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته ، كما قال ﷺ لمعاذ « أتدري ما حق الله على العباد ؟ » قال الله ورسوله أعلم ، قل « ان يعبدوه لا يشركوا به شيئاً » ثم قل « أتدري ما حق العباد على الله ؟ اذا هم فعلوا ذلك ؟ ان لا يعذبهم » وللعبادة شرطان (أحدهما) الاخلاص في العمل لقوله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) اي الملة المستقيمة والشرعية المتبعة ، وانما أضاف الدين للقيمة وهي نفعه لا اختلاف اللفظين ، وانث القيمة رداً إلى الملة ، وقيل القيمة جمع القيم واحتج بهذه الآية من قال الايمان عبارة عن القول والاعتقاد ، والعمل هو الدين ، لأنه تعالى ذكر في هذه الآية مجموع هذه الثلاثة قال (وذلك دين القيمة) اي وذلك المذكور دين القيمة ، لان الدين هو الاسلام ، والاسلام هو الايمان .

تقرؤه تعالى (إن الدين عند الله الإسلام) والإسلام هو الإيمان من وجهين
 (الأول) أن الإيمان لو كان غير الإسلام لما كان مقبولا عند الله لقوله تعالى
 (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) ولكن الإيمان بالإجماع مقبول عند
 الله فلا شك أنه عين الإسلام كما هو ظاهر

(والوجه الثاني) قوله تعالى (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما
 وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)

وقال بعضهم الإشارة في ذلك راجعة إلى الإخلاص من قوله تعالى (مخلصين
 له الدين) وأما مجموع ما تقدم فهو الدين الكامل أي المستقل بنفسه
 (والشرط الثاني) متابعة الرسول ﷺ بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه
 كما قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) وقال تعالى (فليحذر الذين
 يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)

قال الاخفش في قوله (عن أمره) صلة. والمعنى يخالفون أمره ﷺ. وقال
 غيره عن أصلية، والمعنى يعرضون عن أمره ويميلون عن سنته، وقال تعالى (وما
 آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)

وكان سبب نزول قوله تعالى (فليحذر الذين) الآية أنه كان ﷺ يعرض
 في الخطبة بالمنافقين ويعيبهم فإذا سمع المنافقون ذلك خرجوا ولم يصلوا

(والثانية) نزلت في أموال الفبي والغنيمة، والعبارة بعموم اللفظ لا بخصوص
 السبب، فهو عام في كل ما أمر به ﷺ ونهى عنه من قول وعمل، كما هو جار في
 جميع الخطاب المتعلق بأفعال المكلفين، فكيف وقد أوجب الله طاعته بقوله تعالى
 (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) قال ابن
 خنيس وجابر، هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم على شريعته
 ومنهاجه وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد مستدلين على ذلك بقوله (ولو

مردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)
وقال ابو هريرة : هم الامراء والولاة الذين يعلمون ويحكمون بما أنزل الله
على رسوله ﷺ

وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه « حق على الامام ان يحكم بما أنزل الله
ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك حق على الرعية ان يسمعوا له ويطيعوا »
وعن ابي هريرة قل : قال رسول الله ﷺ « من أطاعني فقد أطاع الله
ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن اطاع اميري فقد اطاعني ، ومن عصى
اميري فقد عصاني »

وعن نافع بن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ انه قال « السمع والطاعة
على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »
وقل عبادة بن الصامت : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في
اليسر والعسر ، وان تقوم - او نقول - بالحق حينما كنا ، لانخاف في الله لومة لائم »
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قل « اسمع وأطع ولو
لعبد حبشي كان رأسه زبيبة »

وعن ابي امامة قال : سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال
« يا أيها الناس اتقوا الله ، وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم
وأطيعوا اذا أمركم تدخلوا الجنة ربكم »

فطاعة هؤلاء من طاعته ﷺ الواجبة على كل مكاف ، وقال تعالى (فان
تتازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله) أي إلى كتاب
الله وإلى رسوله في حياته وبعد وفاته إلى سنته

وقال مجاهد وغير واحد من السلف هذا امر من الله عز وجل بان كل شيء
تتازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه يرد التنازع في ذلك إلى كتاب الله

وسنة رسوله كما قال تعالى (فما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله فهو الحق (وماذا بعد الحق إلا الضلال) ولهذا قال تعالى (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أي ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكوا اليهما فيما شجر بينكم إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . فدل على أن من لم يتحاكم في مجال النزاع إلى الكتاب والسنة ولم يرجع اليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله واليوم الآخر

فالرد إلى الكتاب والسنة واجب لصريح الامر وتعليق الايمان عليه وجوداً وعندما لان الوعيد عائد إلى قوله (فردوه) والشرط جوابه محذوف عند جمهور البصريين ؛ أي فردوه إلى الله وهو المتقدم عند غيرهم كما جاء الوعيد في قوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك في شجر بينهم) فالوعيد عائد إلى التحكيم ، ولا أصلية ، والمعنى ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك . ثم استأنف بعد ذلك . فعلى هذا يكون الوقف على « لا » تاماً ، وقيل ان « لا » مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في (لئلا يعلم)

وقد جاء في الحديث « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هوام تبعاً لما جئت به »

وسبب نزول هذه الآية مارواه ابن أبي حاتم عن أبي الاسود قل : اختصم رجلان إلى رسول الله ﷺ فقاضى بينهما فقال الذي قضى عليه : ردنا إلى عمر ابن الخطاب فقال نعم فانطلقا اليه ، فقال الرجل : يا ابن الخطاب قضى لي رسول الله ﷺ على هذا فقال ردنا إلى عمر فردنا إليك ، فقال أ كذالك ؟ فقال نعم . فقال عمر مكالمك حتى أخرج اليكما فأقضي بينكما فخرج اليهما مشتملا على سيفه فضرب الذي قال ردنا إلى عمر فقتله وأدبر الآخر فاراً إلى رسول الله . فقال يا رسول الله قتل عمر والله صاحبي ، ولو ما لي أعجزته لقتلني فقال رسول الله « كنت

ما أظن أن يتجرأ عمر على قتل مؤمن « فأنزل الله (فلا وربك لا يؤمنون) الآية فهدر دم ذلك الرجل ويرى عمر منه . فعلى هذا تكون الآية متعلقة بما قبلها وهو اقرب للمقام من السبب الآتي ذكره ، وبه قال مجاهد وعطاء والشعبي وغيرهم من علماء السلف

وقيل ان هذه الآية نزلت في أنصاري مجهول . وقيل في حاطب بن ابي بلتعة الانصاري البصري (١) حين اختصم مع الزبير عند رسول الله في سقيا ماء ، فحكهم عليه السلام الزبير فقال حاطب . ابن عمك ، فتلون وجهه النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية ،

وعلى هذا تكون الآية مستأنفة حينئذ [الراجح مسايل الماء] (٢) (ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا) قال مجاهد شكاً وقال غيره ضيقاً (مما قضيت ويساموا تسليماً) اي انقادوا الامرك

(١) ليس في البصريين من الانصار رجل اسمه حاطب بن ابي بلتعة وانما فيهم حاطب بن عمرو . كذا في هامش الاصل . ولكن لهذا القيل اصلاً أخرجه ابن ابي حاتم من مراسيل سعيد بن المسيب وهي اقوى المراسيل قال نزلت في الزبير ابن العوام وحاطب بن ابي بلتعة وأخذ بهذه الرواية النعماني وعنه الواحدي وغيرهما وعندنا رواية البخاري عن عروة عن عبد الله بن الزبير انه حدثه ان رجلاً من الانصار خاصم الزبير عند النبي (ص) في شراج الحجرة التي يسقون بها النخل الخ ولما كان حاطب هذا مهاجراً با أنصارياً قال بعض العلماء في توجيه الجمع بين الروایتين انه كان حليفاً للانصار وقد سمي هذا الانصاري بعض الرواة باسماء اخرى منها قول الواحدي انه ثعلبة بن حاطب وقال بعضهم انه كان من المنافقين والصواب الاكتفاء بانها مه كما فعل البخاري

(٢) صواب هذه الكلمة الشراج ككتاب وهو مفرد جمعه شراج وشروح كبجار وبحور وهي مسائل الماء التي اختصم فيها الزبير مع الانصاري ولم تذكر هنا ولعلها سقطت من قلم النساخ

وقال ﷺ « وكل ما ليس عليه أمرنا فهو رد » (١) وقال ﷺ « يا أيها محمد ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » أي صاحبها فلا يعبد الله إلا بما شرع على لسان نبيه ﷺ .

ومعنى لا إله إلا الله توحيد الله في عبادته مع التبرئ من كل معبود سواه كما أخبر الله عن نبيه إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى (إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني) وهذا هو الذي تضمنه قول لا إله إلا الله . فأنما دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها والعمل به لا بمجرد قولها باللسان . ومعناها هو أفراد الله بالالهية والعبادة والنفي لما يعبد من دونه ، والبراءة منه كما حكى الله عن إبراهيم عليه السلام (إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني) وقال ﷺ « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دونه حرم ماله ودمه وحسابه على الله » رواه مسلم . فحينئذ من لا يكفر بكل معبود سوى الله لا يحرم دمه وماله ولا يكون مسلماً بمجرد التلفظ بلا إله إلا الله إلا إذا أضاف إليها الكفر بما يعبد من دون الله ولا بمعرفة معناها مع التلفظ بها بل ولا كونه لا يدعو إلا الله ، ولم يكفر بما يعبد من دون الله لم يكن مسلماً بذلك فلا يحرم ماله ودمه فهذا أصل لامرية فيما تضمنه ولا شك فيه ، وأنه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه ويعمل به

(فان قيل) قد أنكر ﷺ على أسامة قتله لمن قال لا إله إلا الله ؟

(فالجواب) انه لا شك ان من قال لا إله إلا الله من الكفار حرقن دمه وماله حتى يتبين منه ما يخالف ما قاله ، ولذا أنزل الله في قصته (يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) الآية فان تبين التزامه لمعناها وهو أفراد الالهية والعبودية لله تعالى كان له ماله للمسلمين وعليه ما عليهم . وان تبين خلافه لم يحقن

(١) المعروف من رواية البخاري ومسلم من حديث عائشة وغيرهما « من عمل

عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »

بمجرد التافظ ماله ودمه ، وهكذا كل من أظهر التوحيد وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يخالف ذلك .

واعلم ان التوحيد قسمان ، القسم الاول توحيد الربوبية والخالقية ونحوها ، ومعناه ان الله وحده هو الخالق للعالم وهو الرب لهم والرازق لهم ، وهذا لا ينكره المشركون ولا يعملون لله فيه شريكا ، بل هم مقرون به كما أخبر الله عنهم في غير موضع من كتابه .
والقسم الثاني توحيد العبادة ومعناه افراد الله وحده بجميع انواع العبادة الآتي بيانها فهذا هو الذي جعلوا لله فيه شركاء ، ولفظ شريك يشعر بالاقرار بالله تعالى

فالرسل عليهم السلام بعثوا لتقرير الاول ، ودعاء المشركين لله عند قولهم في خطاب المشركين (أفي الله شك ؟ * هل من خالق غير الله ؟) ولنهيهم عن شرك العبادة ، وكذلك قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله) أي قائلين لا مذهب (أن اعبدوا الله) وحده (واجتنبوا الطاغوت) وهو كل ما يعبد من دون الله ، فأفاد بقوله تعالى (في كل أمة) ان جميع الامم لم ترسل اليهم لرسول وتبعث إلا بطلب توحيد العبادة لا للتعريف بأن الله هو الخالق للعالم وانه رب السموات والارض ، فانهم مقرون بذلك ، ولهذا لم ترد الآيات في الغالب إلا بصيغة استفهام التقرير نحو (هل من خالق غير الله * أفمن يخلق كمن لا يخلق * أفي الله شك فاطر السموات والارض * غير الله أنخذ وليا فاطر السموات والارض * أروني ماذا خلق الذين من دونه * أروني ماذا خلقوا من الارض) استفهام تقرير لهم لانهم به مقرون ،

وهكذا يعرف ان المشركين لم يتخذوا الاوثان والاصنام ولم يعبدوها ولم يتخذوا المسيح وأمه ولم يتخذوا الملائكة شركاء لله تعالى في خلق السموات والارض وفي خلق أنفسهم ، بل انخذوهم أولياء يقرّبونهم الى الله زلفى كما قالوه .
فهم مقرون بالله تعالى في نفس كلمات كفرهم وانهم شفعاء عند الله تعالى (قل

أنتبثون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) فجعل سبحانه وتعالى اتخاذهم للشفعاء شركاً ونزه نفسه عنه لانه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فكيف يثبتون شفعاء لم يأذن الله لهم في الشفاعة ولا يغفون عنهم من الله شيئاً ؟

﴿ فصل في أنواع العبادة الاربعة ﴾

(ودعوة الرسل كلهم الى جعلها كلها لله وحده)

والعبادة أنواع : اعتقادية - وهي أساسها - وذلك أن يعتقد انه الرب الواحد الأحد الذي له الخلق والامر ، ويده النفع والضر ، وانه الذي لا شريك له ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، وانه لا معبود بحق إلا هو ، وغير ذلك مما يجب له من لوازم الآلهية . ومنها لفظية وهي النطق بكلمة التوحيد ، فمن اعتقد ما ذكر ولم ينطق بها لم يحقق دمه ولا ماله . وكان كالبائس ، فانه يعتقد التوحيد بل ويقر به ولم يمثل أمر الله بالسجود فكفر ، ومن نطق ولم يمتدح حقن ماله ودمه وحسابه على الله وحكمه حكم المنافقين . وبدنية كالقيام والركوع والسجود في الصلاة ، ومنها الصوم وافعال الحج والطواف . ومالية كخراج جزء من المال امثالاً لما أمر الله تعالى به . وأنواع الواجبات والمندوبات في الابدان والاموال والافعال والاقوال كثيرة ، لكن هذه أهماتها ،

واذا تقررت هذه الامور فاعلم ان الله تعالى بعث الانبياء عليهم السلام من أولهم الى آخرهم يدعون العباد الى افراد الله بالعبادة ، لا الى اثبات انه خلقهم ونحوه إذ هم مقرون بذلك كما ذكرناه ولم يعبدوا الاصنام بالخضوع لهم والتقرب بالنذور والنحر لهم إلا لاعتقادهم انها تقربهم الى الله وتشفع لهم لديه ، فأرسل الله الرسل تأمرهم بترك عبادة كل ماسواه وان هذا الاعتقاد الذي يعتقده في الانداد باطل والتقرب اليهم باطل وان ذلك لا يكون إلا لله وحده وأمر عباده ان يقولوا (إياك نعبد)

ولا يصدق قائل هذا إلا إذا أفرد العبادة لله وإلا كان كاذبا منيهاً عن أن يقول هذه الكلمة إذ معناها نخصك بالعبادة ونفردك بها وهو معنى قوله (فإياي فاعبدون * وإياي فاتقون) لما عرف من علم البيان أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر أي لا تعبدوا إلا الله ولا تعبدوا غيره ، ولا تتقوا إلا الله ولا تتقوا غيره كما في الكشف

فأفراد الله تعالى بتوحيد العبادة لا يكون إلا بأن يتم جميعها كلها له ، والنداء في الشدائد والرجاء لا يكون إلا لله وحده ، والاستغاثة والاستعانة بالله وحده ، واللجأ إلى الله والنذر له والنجر له وجميع أنواع العبادة ، ومن يفعل شيئاً من ذلك مخلوق من حي أو ميت أو جماد فقد أشرك في العبادة وصار من يفعل له هذه الأمور إلهاً لعبادته ، سواء كان ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجراً أو قبراً أو جنياً. وصار بهذه العبادة أو بأي نوع منها عبداً لذلك المخلوق ، وإن أقر بالله وعبدته فإن أقرار المشركين بالله وتقربهم إليه لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفك دمائهم وسبي ذرائعهم ونهب أموالهم ، فإن الله تعالى أغنى الشر كداء عن الشرك لا يقبل عملاً شورك فيه غيره ولا يؤمن به عبد عبد معه غيره كما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «يقول الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»

وقد عرفت من هذا كله أن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر ، وأنه يقرب إلى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به إلى الرب تعالى - إلا ما ورد في حديث فيه مقال في حق نبينا صلى الله عليه وسلم أو نحو ذلك - فإنه قد أشرك مع الله غيره واعتقد ما لا يحل اعتقاده - لقوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)

وعن أنس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله يا ابن آدم انك لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » (١)
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال من اراد ان ينظر إلى وصية محمد ﷺ فليقرأ (قل تعالوا أتأله ما حرم عليكم ربكم ان لا تشركوا به شيئاً — إلى قوله — وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)

وعن معاذ بن جبل قال كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال « يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ » قلت الله ورسوله أعلم ، قال ﷺ « ان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً » قلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس ؟ قال « لا تبشروهم فينكلوا » أخرجاه في الصحيحين

فصل

(في الشرك الاكبر بدعاء غير الله عز وجل)

وما تساهل فيه الناس من أنواع العبادة دعاء المسألة الذي أخبر الله به سبحانه وتعالى عن موسى وهارون بقوله تعالى (ربنا إنا آتيت فرعون وملائه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) قال العلي العظيم (قد أجيبتم دعوتكم) أي مأسألتهم (فاستقيما) على دعوة الله إلى ان يأتيهم العذاب وأخبر سبحانه وتعالى عن زكريا عليه السلام بقوله (بهيئص * ذكر رحمة ربك عبده زكريا * اذ نادى) أي دعا (ربه نداءً خفياً) أي دعا الله سرّاً في

(١) رواه الترمذي وحسنه : والحاكم : وقال صحيح الاسناد

قومه (قل رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيئا ولم أكن بدعائك رب شقياً) وأخبر سبحانه وتعالى عن أيوب عليه السلام بقوله (وأيوب اذ نادى ربه) أى دعاه (اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين * فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر) وقال تعالى (ادعوني أستجب لكم)

قال الجمهور: هو أمر بالدعاء الذي هو أخص من العبادة لقوله تعالى (أستجب لكم) وقيل انه أمر بالعبادة التي هي أعم من الدعاء لقوله تعالى (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) فاجيب عن ذلك بان الدعاء اعتراف بالعبودية والذلة والمسكنة فما يتركه إلا مستكبر عن اظهار العبودية ، ولما عبر عن العبادة بالدعاء جعل لاثابة استجابة .

وعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر « الدعاء هو العبادة » ثم قرأ (وقل ربكم ادعوني أستجب لكم * ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أي صاغرين ، أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح ، وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « انه من لم يسأل الله يغضب عليه » أخرجه الترمذي ، وعنه عن النبي ﷺ قال « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » أخرجه الترمذي

فإذا استكملت شروط الدعاء حصلت الاجابة قطعاً للوعد الحق ، ولما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ « مامن رجل يدعو الله إلا استجاب له إما أن يعجله له في الدنيا وإما أن يدخره له في الآخرة وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ، مالم يدع بأنهم أو قطيعة رحم أو يستعجل » قالوا يا رسول وكيف يستعجل ؟ قال « يقول دعوت ولم يستجب لي » وقال تعالى (وإذا سألك عبادي عني فاني قريب) قال ابن عباس ، قال يهود المدينة : يا محمد ، كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام ، وغلط

كل سماء خمسمائة عام ؟ فنزلت هذه الآية (١) وقيل سأل بعض الصحابة النبي ﷺ : أقریب ربنا فنأجبه او بعید فنأدیه ؟ فنزلت هذه الآية بقوله (انی قریب) ای بالعلم لا یخفی علیه شیء .

وقال تعالى (أمن یحییب المضطر اذا دعاه ویكشف السوء) ای المکروب من مرض وبلاء ونازلة من نوازل الدهر فاذا نزلت باحد نازلة بادر إلى الالتجاء والتضرع إلى الله تعالى ، فیجیب دعوته فیکشف ما به من مرض وکرب وبلاء لانه لا یقدر على تغیر الحال من فقر إلى غنى ، ومن مرض إلى صحة ، ومن ضیق إلى سعة ، إلا القادر الذی لا یعجز ، والقاهر الذی لا یغلب (ویجعلکم خلفاء الارض أله مع الله) تدعونه فی جلب النفع وکشف الضر (قليلا ما تذکرون) أي تمنعظون وقال صاحب الکشاف : الاضطرار الحال المحوجة الى الالتجاء ، اضطره إلى کذا ، والفاعل والمفعول مضطر^٢ وهو من أصابه مرض او فقر او نازل نزل به أحوجه الى التضرع إلى الله وقال السيد الذی لا حول له ولا قوة ، والخلاف لفظی وقال تعالى (قل ادعوا الذین زعمتم من دون الله) ای ادعوه لیکشفوا عنکم الضر الذی نزل بکم فأنهم (لا یملکون مثقال ذرة فی السموات ولا فی الارض) من خیر وشر (وما لهم فیها من شریک وما له منهم من ظهیر) ای لا شریک ولا معین (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) تکذیباً لهم حیث قالوا (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقال تعالى (والذین تدعون من دونه ما یملکون من قطمیر) القشرة الرفیعة التی على النواة (ان تدعوه لا یسمعوا دعاءکم ولو سمعوا) على سبیل الفرض والتقدير لان لو حرف امتناع (ما استجابوا لکم) أي ما أجابوکم فیما

« ١ » هذا الحدیث لا یصح بل هو من الامرائلیات

(٢) یعنی ان لفظ اسم الفاعل والمفعول واحد لا یتصور الفرق بینهما فی النطق

لسبب الادغام

سألتهم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) اي يتبرءون منكم ، ومن دعائكم ، (ولا ينبتلك مثل خبير)

وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) وذلك ان المشركين أصابهم فحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالذي ﷺ ليدعوا لهم فقال الله عز وجل (قل) للمشركين (ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم - اي الجوع والقحط - ولا تحويلا) الى غير لم

والمقصود من الآية حيث قالوا : ليس لنا أهلية أن نشغل بعبادة الله فنحن نعبد هؤلاء المقربين إلى الله وهم الملائكة ، ثم انهم اتخذوا لذلك الملك الذي عبده تماثلا وصورة واشتغلوا بعبادته ، فاحتج على بطلان قولهم بهذه الآية ، ثم قال تعالى (أولئك الذين يدعون) يعني الذين يدعوههم المشركون (يبتغون إلى ربهم الوسيلة) أي القربة والدرجة العليا قال ابن عباس : هم عيسى وأمه والعزير والملائكة . وقال ابن مسعود : نزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم أولئك الجن ولم يعلم الانس بذلك فتمسكوا بعبادتهم فغيرهم الله من حال الى حال ، وأنزل هذه الآية . وقوله تعالى (أيهم أقرب) معناه ي ينظرون أيهم أقرب الى الله فيتوسلون به ، وقيل أيهم أقرب يبتغي الوسيلة الى الله بالعمل الصالح ، وعليه الاكثرون (ويرجون رحمته) اي جنته (ويخافون عذابه) ناره كغيرهم ، فاذا كن الملائكة والمسيح والعزير لا يقدرّون على كشف الضر وجلب النفع فكيف بغيرهم ؟

وقال تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك) ان عبدته بشي من أنواع العبادة (ولا يضرك) ان تركت عبادته (فان فعلت) ما نهيتك عنه فعبدت غيري او طلبت النفع وكشف الضر من غيري (فانك اذا من الظالمين) فهذا الخطاب وان كان للنبي ﷺ فالمراد به غيره ، لانه ﷺ لم يدع من دون الله شيئا البتة . فعلى

هذا المعنى المراد : ولا تدع من دون الله أبها الانسان مالا ينفعك ولا يضرك .
 وقال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) يعني الاصنام
 لا تجيب دعاء عابديها فيما يسألونها (الى يوم القيامة) أي لا تجيبهم (وهم عن دعائهم
 غافلون) أي لا يسمعون ولا يفهمون (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا
 بعبادتهم كافرين) أي جاحدين ، وكل من دعا من دون الله فيما لا يقدر عليه
 الا الله فقد أشرك ، لان الدعاء اعتراف بالعبودية ، فبدعائه له صيره الهاً .

وقال تعالى (له دعوة الحق) يعني دعوة الصديق ، وقال علي : دعوة الحق
 التوحيد وقال ابن عباس : دعوة الحق شهادة أن لا اله الا الله ، والخلاف بينهما
 لفظي . وقال صاحب الكشف دعوة الحق فيها وجهان (أحدهما) أن تضاف
 الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل على ان الدعوة ملازمة للحق مختصة به ،
 وانها بمعزل عن الباطل ، والمعنى ان الله يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي
 سؤاله (والوجه الثاني) أن تضاف الدعوة الى الحق الذي هو الله على معنى دعوة
 الحق الذي يسمع ويحيي . وعن الحسن انه الحق وكل دعاء اليه دعوة الحق .
 (والذين يدعون من دونه) أي يدعونهم من دون الله (لا يستجيبون لهم بشيء) أي
 لا يجيبونهم فيما يسألونه منهم من نفع ودفع ضر اذا دعوه (الا باسط كفيه الى
 الماء ليبلغ فاه وما هو بباله) يعني ان استجابتهم لهم كاستجابة الماء لمن باسط كفيه
 اليه يطلب منه أن يبلغ فاه ، وكذلك ما يدعونه جهاداً لا يحس دعاءهم ولا يستطيع
 اجابتهم ، وقيل شبههم في قلة جدوى دعائهم لاهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيده
 ليشرب به فبسطهما ناشرأ أصابعه لا يكون منه في يده شيء ، كذلك الذي يدعو
 الاصنام بانها لا تنفع ولا تنفع ولا بيده منها شيء . وقال مجاهد : كالعطشان الذي
 يرى الماء بعينه من بعيد وهو يشير بكفيه الى الماء ويدعوه بلسانه فلا يأتيه أبداً ،
 وقال عطاء : كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو يمد يده الى الماء فلا هو يبلغ

الماء ، ولا الماء يرتفع اليه ، فلا ينفعه بسط الكف الى الماء ودعاؤه له ، كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم دعاؤهم ، وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه الى الماء لا ينفعه ذلك ما لم يعرف ولا يبلغ الماء فاه مادام باسطا كفيه الى الماء (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) أى كل مدعوسواه يضل عن دعاء اذا احتاج اليه ، وقال ابن عباس : ان اصواتهم محجوبة عن الله تعالى ، وهذا مثل ضربه الله لمن يدعو غيره فيما لا يقدر عليه إلا هو سبحانه وتعالى

وقال تعالى (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) أى ملك لله أمثالكم لا يعاينون لا نفسهم شيئاً ، فالذي لا يملك لنفسه شيئاً من نفع كيف يتصور في حقه بالنفع لغيره (فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) في دعواكم ، وقال تعالى (قل أرأيتم) يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين تركوا عبادة الله وحده وعبدوا معه غيره من الاصنام : اخبروني - تقول أرأيتمك ، يعني اخبرني بحالك - وأصله أرأيتم ، والكاف للتأكيد (إن أناكم عذاب الله) قبل الموت مثل ما نزل بالأمم الماضية من الفرق وانخسف والصواعق ونحو ذلك من العذاب (أو أنتم الساعة) أي القيامة (أغير الله تدعون) في كشف العذاب عنكم (ان كنتم صادقين) في دعواكم

ومعنى الآية ان الكفار اذا نزل بهم بلاء وشدة رجعوا الى الله بالتضرع والدعاء وتركوا الاصنام ، فقبل لهم أن يرجعوا الى الله في حال الشدة والبلاء ولا تعبدونه وتطيعونه في اليسر والرخاء ، (بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه إن شاء) من الضر الذي من أجله دعوتوه ، وانما قيد الاجابة بالمشيئة رعاية للمصلحة ، وان كانت جميع الامور بمشيئة سبحانه وتعالى (وتدنسون ما تنشرون) أى تتركون دعاء الاصنام التي تدعونها لانها لا تضر ولا تنفع ، وقيل المعنى تركتم دعاء الاصنام بمنزلة من قد نسيها وهذا قول الحسن ، فقد نفى الله عما سواه ما يتعلق به المشركون من دعاء غيره من أن يكون له شرك في مثقال ذرة من نفع أو ضرر

٦٨٠ معنى قوله تعالى (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم)

كما قال لنبه وخليفه (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) وقال (قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) وقال ﷺ في حديث ابن مظعون «ما يدري ما يفعل به» وفي رواية «ما يفعل بي وأنا رسول الله» وفي الصحيح عن أنس قال: شج النبي ﷺ يوم أحد فقال «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟» فنزلت عليه (ليس لك من الامر شيء) وفيه عن ابن عمر انه سمع النبي ﷺ يقول اذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر «اللهم العن فلانا وفلاناً - بعد ما يقول - سمع الله لمن حمده» فأنزل الله عليه (ليس لك من الامر شيء) ولما نزل عليه ﷺ (وأندر عشيرتك الاقربين) صعد الى الصفا فقال «يامعشر قريش - أو كلمة نحوها - اشترؤا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا، وياعباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، ويافضيلة بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، ولا أغني عنك من الله شيئا، ويافاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا سليمان من مالي» فاذا كان سيد الاولين والآخرين، وامام المتقين، وحبیب رب العالمين، لا يملك لنفسه ولا لاقاربه نفعا ولا ضرا، فكيف بغيره ممن لا يعلم حاله مع ربه ولا مصيره الى نعيم أو جحيم؟

فان كان قيل فيمن عبد الملائكة وعيسى وأمه والله يقول (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم)

قال ابن القيم: في هذه الآية دليل على جواز الخطاب العام وإرادة الخاص من غير بيان تفصيلي ولا اجمالي فان لفظة «ما» عام يشمل المعبودين سوى الله ولم يرد العموم مع تأخير بيان التخصص، فانه لما نزلت هذه الآية قال ابن الزبير والله لا أؤمن بمحمد بهذه الآية، فحضر عند النبي ﷺ وقال لقد عبدت الملائكة وعبد عيسى، فيجب ان يكون هؤلاء حصب جهنم وهو خلاف دينك يا محمد،

فست رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه، فنزل بعد حين (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) فقد أطلق العام مع ارادة الخاص وبين بعد حين. واعترض على هذا الدليل باننا لانسلم احتياج الآية إلى البيان، وانما تحتاج إليه لو دخلت الملائكة وعيسى في عموم الآية وهو ممنوع، لان «ما» لغير من يعقل فلا تتناول الملائكة ولا عيسى. ولهذا نقل في بعض الروايات ان النبي ﷺ قال لابن الزبيري «ما أجهلك بلغة قومك أما علمت إن «ما» لما لا يعقل و «من» لمن يعقل (١) وانما نزلت (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) زيادة بيان للحمل المعترض لا بياناً للآية السابقة

وإن سلم أن كلمة (ما) تشماهم فلا تحتاج الآية إلى البيان أيضاً لأن العقل يحكم بخروجهم عن الآية لأن تعذيب الملائكة وعيسى — بذنب الغير، وهو عبادة الناس إياهم — غير جائز عقلاً، وانما يجوز تعذيبهم لو كانوا راضين بذلك وهو مستحيل في حقهم

فصل

﴿ في توحيد الاسماء والصفات والمذهب الصحيح في ذلك ﴾

فاذا عرفت ما نقرر من توحيد العبادة فاعلم بان ايماننا بما ثبت في نعوته تعالى كإيماننا بذاته المقدسة، إذ الصفات تابعة للموصوف فنعقل وجود الباري ونميز ذاته المقدسة عن الاشباه من غير ان نعقل الماهية، فذلك القول في صفاته، نؤمن بها ونعقل وجودها ونعالمها في الجملة من غير تكيف ولا تمثيل، ولا تشبيه ولا تعطيل، ونقول كما قال السلف الصالح: آمنا بالله على مراد الله و (ليس كمثل شيء) وهو السميع البصير) فالاستواء معلوم من الكتاب العزيز (الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)

وكل ما وصف الله به نفسه وجب الايمان به كما يجب الايمان بذاته والكيف

(١) هذا ليس عليه طلاوة كلام الرسول ﷺ

مجهول فيها لاستحالة تصوره ، لنوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)
ومن ليس له مثل لا يمكن التصور في ذاته وصفاته لا شرعا ولا عقلا

ومن أول فقد تصور المستحيل في حقه سبحانه وتعالى من المشابهة للحوادث
فما وسعهم مما تصوره من التشبيه الواقع في أذهانهم إلا الفرار منه الى التمثيل
فأولوا اليدين بالقدرة وقد أثبت الله لنفسه يداً وقدره ، وأولوا الاستواء
بالاستيلاء المفيد للتجدد والحدوث في الملك وهو مستحيل في حقه سبحانه وتعالى
وعطلوا صفتين من صفاته وقد قال تعالى (إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض
في ستة أيام ثم استوى على العرش) وقال تعالى (وهو الذي خلق السموات والارض
في ستة أيام وكان عرشه على الماء) وقال تعالى (الرحمن على العرش استوى) وقال
تعالى (الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على
العرش الرحمن) الى غير ذلك من آيات الاستواء

وقال تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا
طوعاً او كرها قالتا أتينا طائعين) وقال تعالى (ثم استوى الى السماء فسواهن
سبع سموات) وقال تعالى (يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في
يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون)

وقال تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال تعالى
(اني متوفيك ورافعك إلي) وقال تعالى (وما قتلوله يقينا بل رفعه الله اليه)
وقال تعالى في الملائكة (يخافون ربهم من فوقهم) وقال تعالى (ذى المعارج تعرج
الملائكة والروح اليه)

وقال تعالى (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب ، أسباب
السموات فأطلع الى إله موسى) وقال تعالى (أأمنتم من في السماء) في بمعنى على
كقوله تعالى (فسيحوا في الارض) وقوله (لاصلبنكم في جذوع النخل) أى على

الارض وعلى جذوع النخل . وكذلك في السماء أى على العرش فوق السماء الى غير ذلك من نصوص القرآن العظيم جل منزله وتعالى قائله

وأما السنة فمن الاحاديث الواردة في الملو حديث معاوية ابن الحكم "سلي قال: كانت لي غنم بين أحد والجوانية فيها جارية لي ، فاطلمت ذات يوم فاذا الذئب قد ذهب منها بشاة . وأنا رجل من بني آدم فأسفت ، فصككتها فأثبت الى النبي ﷺ فذكرت ذلك له ، فعظم ذلك عليّ ، فقالت يا رسول الله أفلا أعتقها ؟ قال « ادعها » فدعوتها ، فقال لها « أين الله ؟ » قالت في السماء ، قال « من أنا » قالت انت رسول الله ﷺ قال « اعتقها فانها مؤمنة » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وابو داود والنسائي وغير واحد من الائمة في تصانيفهم ،

وقال عطاء بن يسار : حدثني صاحب الجارية نفسه قل : كانت لي جارية ترعى الحديث ، وفيه فهد النبي ﷺ يده اليها مستفهما « من في السماء ؟ » قالت الله ، قال « فن أنا ؟ » قالت انت رسول الله ، قال « اعتقها فانها مسلمة » وقال النسائي في تفسيره في قوله تعالى (ثم استوى الى السماء) أنبأنا قتيبة عن مالك عن هلال ابن اسامة عن عمر بن الحكم قال : انبت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله إن جارية لي كانت ترعى غنما لي فحتمتها ففقدت شاة من الغنم سألتها عنها فقالت أكلها الذئب ، فأسفت عليها وكنت رجلا من بني آدم ، فلطممت وجهها وعلي رقبة فأعتقها ؟ فقال لها رسول الله ﷺ « أين الله ؟ » قالت في السماء ، قال « فن أنا » قالت انت رسول الله ، قل « فاعتقها » كذا سماه مالك عمر بن الحكم

وعن ابي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله ﷺ بجارية اعجمية فقال يا رسول الله إن علي رقبة مؤمنة فأعتق هذه ؟ فقال لها « أين الله ؟ » فأشارت الى السماء ، قال فمن « انا » فأشارت الى رسول الله ﷺ نعم الى السماء قل « أعتقها » فانها مؤمنة «

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء رجل الى النبي ﷺ ومعه جارية سوداء أعجمية فقال علي رقية فهل تجزيء هذه عني ؟ فقال « أين الله؟ » فأشارت بيدها الى السماء ، فقال « من أنا ؟ » قالت أنت رسول الله ، قال « اعتقها فانها مؤمنة »

حديث اسامة بن زيد الليثي عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال جاء حاطب الى رسول الله ﷺ بجارية له فقال يا رسول الله إن علي رقية فهل تجزيء هذه عني ؟ فقال لها رسول الله ﷺ « من أنا » قالت أنت رسول الله قال « فأين ربك » فأشارت الى السماء ، قال « اعتقها فانها مؤمنة » وهو مرسل

حديث جابر بن عبد الله ان رسول الله ﷺ قال في خطبة يوم عرفة «الاهل بلغت» فجعل يرفع أصبعه الى السماء وينكبها اليهم ويقول « اللهم اشهد » أخرجه مسلم وحديث أبي هريرة : ان رسول الله ﷺ قال « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم ، كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون أتينا وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون » متفق عليه .

وعن أبي رزين العقيلي قال : قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض ؟ قال « كان في عماء » قال ابو عبيد : العماء الغمام ، وقال خالد ابن يزيد الرازي : اخطأ ابو عبيد انما العمى مقصور ولا يدري أين كان الرب تعالى ، وقيل معناه مقصوراً لا شيء معه فوق هوا ، وما تحته هوا ، ثم خلق العرش ثم استوى عليه ، رواه الترمذي وابن ماجه واسناده حسن

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله ﷺ قال «الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الارض يرحكم من في السماء » أخرجه ابو داود والترمذي وعن عبد الله بن مسعود « ارحم من في الارض يرحمك من في السماء »

وعن أنس ان زينب بنت جحش كانت تفتخر على أزواج النبي ﷺ تقول :
« زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سموات » وفي لفظ : أنها قالت
للنبي ﷺ « زوجنيك الرحمن من فوق عرشه » أخرجه البخاري
وعن أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ « ألا تأمنوني وأنا أمين من
في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء ؟ » متفق عليه .

وعن أبي هريرة ان رسول الله (ص) قال « والذي نفسي بيده ما من رجل
ي يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى
يرضى عنها زوجها » أخرجه مسلم

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) لما أتى إبراهيم عليه السلام في
النار قال « اللهم انك واحد في السماء وأنا في الارض واحد أعبدك » هذا حديث
حسن الاسناد

وعن عبادة بن الصامت ان رسول الله (ص) كان يقول « من توضأ فأحسن
الوضوء ثم قام الى الصلاة فآتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت حفظك
الله كما حفظني ثم صعد بها الى السماء ولها نور وضوء وفتحت لها ابواب السماء
حتى ينتهي بها الى الله عز وجل فتشفع لصاحبها »

وعن أبي هريرة عن النبي (ص) قال « ان الميت يحضره الملائكة فاذا كان
الرجل الصالح قالوا اخرجي ايها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ، اشري
بروح وريحان ورب غير غضبان ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها
الى السماء التي فيها الله تعالى » رواه احمد في مسنده والحاكم في مستدركه وهو
على شرط البخاري ومسلم

وعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « بينا اهل الجنة في نعيمهم إذ سطع
لهم نور فيرفعون رؤوسهم فاذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم فقال : السلام عليكم

يا اهل الجنة فذلك قوله عز وجل (سلام قولاً من رب رحيم) « أخرجه ابن ماجه في سننه

وعن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يصعد إلى الله الا طيب - فانه يقبلها بيمينه ويربها لصاحبها حتى تكون مثل الجبل » أخرجه البخاري

وعن ابي موسى الاشعري قال : قال رسول الله ﷺ « ان الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور - وفي رواية النار - لو كشفه لآحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره » أخرجه الشيخان .

وقال ﷺ لحصين « كم تعد لنفسك من إله ؟ » : قال سبعة ستة في الارض وواحد في السماء قل « فأبهم تعد لربك ورغبتك ؟ » قال الذي في السماء فقال له ﷺ أما انك لو أسلمت لاعتك كبتين ينفعانك « فلما أسلم حصين قال له « قل اللهم ألهمني رشدي وعافني من شر نفسي » أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد وروى الشيخان عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش : ان رحمتي تغلب غضبي » وفي رواية للبخاري « ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش : ان رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش »

وفي رواية لها « ان الله لما خلق الخلق » وعند مسلم « لما قضى الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو موضوع عنده » زاد البخاري « على العرش » ثم اتفقا « ان رحمتي تغلب غضبي »

وعن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من اشتكى منكم او اشتكى أخ له فليقل : ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والارض

كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الارض ، واغفر لنا حوبنا وخطايانا ، انت رب الطيبين ، أنزل رحمة من رحمتك ، وثفاء من شفائك على هذا الوجع فيراً »
أخرجه ابوداود

وهكذا حل من يسأل : أين الله يبادر بفطرته ويقول في السماء ففي الخبر مسئلان (أحدهما) قول السائل أين الله ؟ (وثانيها) قول المسئول : في السماء ، فمن أنكر هاتين المسئلتين فاتما ينكر على رسول الله ﷺ لانه قالها وأقرها من غيره . والعياذ بالله من الاعراض عما وصف الله به نفسه ، ووصفه به رسوله

ولم تخبر الرسل بما تستحيله العقول بل اخبارهم قسماً

(أحدهما) ما يشهد به العقل والنظر

(والثاني) مالا تدركه العقول بمجرد ما كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر ، وتفاصيل العقاب والثواب ، ولا يكون خبرهم محالاً في العقول أصلاً ،

وكل خبر تظن ان العقل يحيله فلا يخلو من أحد أمرين : اما لعدم صحة في النقل او لفساد في العقل والعقل الصحيح لا يخالف النص الصريح

واختلف السلف في الاستواء فقال قوم : استوى بمعنى استقر ، ومنهم ابن عباس رضي الله عنهما كما رواه البيهقي في الاسماء والصفات وهو استقرار يليق بذاته وقال آخرون منهم سفيان الثوري والاوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السلف : أقرارها وامرارها كما جاءت بلا كيف . وقال البغوي ، اهل السنة يقولون : الاستواء على العرش صفة الله بلا

كيف يجب على الانسان الايمان به ويكل العلم به الى الله عز وجل

وروى البيهقي بسنده عن عبد الله بن وهب قال : كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ قال

فأطرق مالك وأخذته الرخصاء ثم رفع رأسه فقال (الرحمن على العرش استوى) كما وصف نفسه ولا يقال كيف ، وكيف عنه مرفوع ، وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجه ، فأخرج الرجل

وفي رواية يحيى قال كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقل يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) كيف استواؤه ، فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرخصاء ثم قال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا

وقال تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) وقال (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وقال (وما آتيتكم من زكاة تريدون وجه الله) وقال (إنما نطمعكم لوجه الله) وقال (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم) وقال (إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) وقال (يريدون وجهه)

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله قال : لما نزل على النبي ﷺ (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) قال « أعوذ بوجهك (أو يلبسكم شيئا ويندق بعضكم بأس بعض) قال هاتان أهون وأيسر » وروى البخاري عن أبي موسى الأشعري قال : قال النبي ﷺ « جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وأن ينظروا إلى وجه ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » وروى البخاري عن عتيان بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « حرم الله على النار أن تأكل من قل لإله إلا الله يبتغي بها وجه الله »

وروى مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال : كنا مع رسول الله ﷺ ونحن ستة نفر فقال المشركون : اطردهؤلاء عنك لا يجترئون علينا ، وكنت وعبد الله ابن مسعود - أظنه قال وبلال ورجل من هذيل ورجلان قد نسيت اسمهما - فوقع

في نفس النبي ﷺ ما شاء الله أن يحدث به نفسه فأنزل الله عز وجل (ولا تغار
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) الآية
وقال تعالى (يا ابايس مامنك ان تسجد لما خلقت بيدي ؟) وقال (وقالت
اليهود يد الله مغولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان ينفق
كيف يشاء)

وروى الشيخان عن أنس بن مالك ان نبي الله ﷺ قال « يجمع المؤمنون
يوم القيامة فيهتمون لذلك فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا
هذا فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت ابو الناس خلقك الله بيده ، وأسجد لك
ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا الى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا »
وذكر الحديث بطوله

وروى البخاري عن ابي هريرة قال : أتى رسول الله ﷺ يوما بلحم فدفن
اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال « أنا سيد الناس يوم القيامة وهل
تدرون لم ذلك ؟ » قال فذكر حديث الشفاعة وفيه « فيأتون آدم فيقولون يا آدم
أنت ابو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه - أظنه قال - وعلمك أسماء
كل شيء اشفع لنا الى ربك »

وروى البخاري عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « احتج آدم
وموسى ، فقال موسى أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه » الخ
وروى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ
« احتج آدم وموسى فقال موسى لآدم أنت ابونا جئت وأخرجتنا من الجنة فقال
له آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه وخط لك في الألواح بيده » الخ
وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « خلق الله جنات عدن
وغرس أشجارها بيده ، فقال لها تكلمي فقالت (قد أفلح المؤمنون) »

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كتب ربكم تبارك وتعالى على نفسه بيده قبل أن يخلق الخلق : ان رحمتي سبقت غضبي »

وعن ابن عمر قال « خلق الله أربعة أشياء بيده ، العرش ، وجنات ، عدن ، وآدم والقلم . واحتجب من الخلق بأربعة ، بنار ، وظلمة ، ونور ، فظلمة » .

وقد تكون اليد في غير هذه المواضع بمعنى القوة ، قال الله تعالى (واذكر عبدنا داود ذا الأيد) أى ذا القوة ، وقد تكون بمعنى النعمة . تقول العرب : كم يد لي عند فلان ، أى كم من نعمة لي قد أسديتها اليه ، وقال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لا أخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين)

وعن أبي هريرة عن النبي (ص) قال « يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك ، أين ملوك الأرض » رواه البخارى . وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي (ص) قال « المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور على يمين الرحمن وكلنا يمينه »

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) « لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس ، فقال : الحمد لله ، فحمد الله باذن الله ، فقال له ربه : رحمتك ربك يا آدم وقال له يا آدم اذهب الى أولئك الملائكة الى ملائمتهم جلوس فقل السلام عليكم فذهب وسلم قالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . ثم رجع الى ربه ، فقال هذه تحيتك وتحية بنيك . فقال الله تبارك وتعالى له — ويداه مقبوضتان — أيهما شئت . فقال اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة ، ثم بسطها فاذا فيها آدم وذريته » وذكر الحديث

وسئل عمر بن الخطاب عن قوله تعالى (واذا أخذ ربك من بني آدم من

ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على انفسهم ألسنت بربكم ؟ قالوا بلى (الآية . فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله (ص) سئل عنها فقال رسول الله ﷺ «خلق الله آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة ، وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره واستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل ؟ فقال رسول الله ﷺ «إن الله اذا خلق الرجل للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة ، واذا خلق الرجل للنار استعمله بعمل أهل النار فيدخله به النار»

وعن هشام بن حكيم ان رجلا اتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أنبتدا الأعمال ام قد قضي القضاء ؟ فقال رسول الله ﷺ «إن الله أخذ ذرية بني آدم من ظهورهم وأشهدهم على انفسهم ثم أفوض بهم في كفيه فقال هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار ، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة ، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار»

وروى مسلم عن أبي هريرة قل : قل رسول الله ﷺ « ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله الا الطيب إلا اخذها الرحمن بيمينه ، وإن كانت تمرّة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه اذ فضله » وقال رسول الله ﷺ « من تصدق بعدل تمرّة من كسب طيب ، ولا يصعد إلى الله إلا طيب ، فإن الله عز وجل يتقبلها بيمينه ويربها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه حتى يكون مثل أحد » أخرجه البخاري

وروى البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « بين الله ملائ لا يغنيها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض ؟ فإنه لم ينقص مما في يمينه - قال - وعرشه على الماء ويده الاخرى القسط يرفع ويخفض »

وروى مسلم عن عبدالله بن مسعود قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم، أبلغك أن الله عز وجل يجعل السموات على أصبع والأرضين على أصبع، والشجر على أصبع، والثرى على أصبع، والخلق على أصبع؟ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه فأنزل عز وجل (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) وروى البخاري عن عبدالله بن مسعود قال جاء خبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أويارسول الله، أن الله جعل السموات على أصبع، والأرضين على أصبع، والجبال على أصبع، والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع فيهزهن ويقول أنا الملك. قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الخبر. ثم قرأ (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) الخ

وروى الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال جاء خبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أن الله يضع السماء على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يقول أنا الملك فضحك رسول الله ﷺ وقال (ما قدروا الله حق قدره) وفي رواية والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع يهزهن وفيه أن رسول الله [ص] ضحك حتى بدت نواجذه عجباً وتصديقا له ثم قرأ (وما قدروا الله حق قدره) الآية

وروى الشيخان عن ابن عمر قال قال رسول الله [ص] «يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيمينه ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون، ثم يطوى الأرضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون؟» وفي رواية يقول «إن الله يقبض أصابعه ويبسطها ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون؟» وفي رواية يقول «أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها ثم يقول أنا

الملك حتي نظرت الى المنبر يتحرك من اسفله حتى اني اقول اساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ « هذا لفظ مسلم والبخارى » ان الله يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السموات بيمينه ويقول انا الملك »

وروى البخارى عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يقبض الله الارض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول انا الملك ابن ملوك الارض » وقال [ص] « قلوب الخلائق بين اصبعين من اصابع الرحمن يقبلها كيف يشاء »

وروى البخارى عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتاك وينزوى بعضها الى بعض »

وروى البخارى عن ابي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « تحتاج الجنة والنار، فقالت النار : او ثرت بالمكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة : فمالى لا يدخلني الاضعفاء الناس وسقطهم؟ قال الله عز وجل للجنة: انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادى، وقال للنار انت عذابي اعذب بك من اشاء من عبادى ولكل واحدة منكما ملؤها فاما النار فلا تمتلي حتى يضع الله فيها رجله فتقول قط قط، فهناك تمتلي وينزوى بعضها الى بعض، ولا يظلم الله من خلقه احداً. وأما الجنة فان الله يذشي لها خلقاً » وقال تعالى (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) وقال تعالى (وجاء ربك والملك صفاً سفا - وقال تعالى - هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة او يأتي ربك)

وقد ذكر الامام ابو جعفر ابن جرير هنا حديث الصور بطوله عن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ وهو حديث مشهور وساقه غير واحد من اصحاب الاسانيد وغيرهم، وفيه « ان الناس اذا اهتموا لموقفهم في العرصات تشفعوا الى ربهم بالانبياء واحدا بعد واحد من آدم عليه السلام فن بعده - فكلمهم يحيدون حتى ينتهوا الى

محمد (ص) فاذا جاوا اليه قال « أنا لما أنا لها » فيذهب ويسجد لله تحت العرش ويشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء، بين العباد فيشنع الله ويأتي في ظل من الغمام بعد ماتشقق السماء الدنيا وينزل ما فيها من الملائكة ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة الى السابعة ، وتنزل حملة العرش والكروبيون ، وينزل الجبار عز وجل في ظل من الغمام والملائكة ، لهم زجل في تسبيحهم يقولون سبحان ذي الملك والملكوت ، سبحان ذي العرش والجبروت ، سبحان الحي الذي لا يموت ، سبحان الذي يميئ الخلاق ولا يموت ، بوح قدوس رب الملائكة والروح قدوس قدوس سبحان ربنا الاعلى ، سبحان ذي السلطان والعظمة سبحان ابدأ ابدا »

وعن عبدالله بن عمرو في قوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظل من الغمام) الآية قال « يهبط -ين يهبط وينه وبين خلقه سبعون ألف حجاب منها النور والظلمة والماء، فيصوت الماء في تلك الظلمة صوتاً تنخلع منه القلوب » وعن ابن مسعود عن النبي (ص) قال « يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم ، قياما شاخصة ابصارهم إلى السماء ، ينظرون فصل القضاء ، وينزل الله في ظل من الغمام من العرش إلى الكرسي » وعن مجاهد (في ظل من الغمام) قل « هو السحاب ، ولم يكن قط إلا لبني إسرائيل في تبيهم »

وقال ابو العالية (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظل من الغمام والملائكة) فالملائكة يجيئون في ظل من الغمام والله تعالى يجيء فيما شاء ، وهي في بعض القراءة (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظل من الغمام) وهي كقوله (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا)

وقل صلى الله عليه وسلم « ينزل ربنا إلى سماء الدنيا » الحديث . وقال الله تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) وقال (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده

ما كان يتعوذ به النبي ﷺ ويعوذ به الحسن والحسين ويعلمه لا صحابه ٦٩٥

من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله (وقال) وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله (ولم يقل حتى يرى خلق الله . وقال) (يسمعون كلام الله ثم يحرفونه) وقال (يريدون أن يبدلوا كلام الله) وقال (اتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته) وقال (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) قال (و يريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين)

وقال (ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون) وقال (وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم جهنم من الجنة والناس أجمعين) وقال (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) وقال (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا)

وروى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «تكفل الله عز وجل لمن جاهد في سبيله لا يخرججه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة»

وروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي [ص] أنه قال «تكلف الله لمن جاهد في سبيله لا يخرججه من بيته إلا جهاد في سبيله ، وتصديق كلمته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة»

وعن أبي موسى الأشعري قال أنى النبي [ص] رجل فقال : يا رسول الله، الرجل يقاتل شجاعة ، ويقا تل حمية ، ويقا تل رياء ، أى ذلك في سبيل الله ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» رواه مسلم

وروى البخاري عن ابن عباس قال كان النبي [ص] يعوذ الحسن والحسين «أعذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة» ثم يقول «كان أبوكما يعوذ بهما اسماعيل واسحاق»

وعن خولة بنت حكيم انها سمعت رسول الله [ص] يقول « اذا نزل أحدكم منزلا فليقل : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، فانه لا يضره شيء حتى يرتحل منه »

قال يعقوب بن عبد الله عن القعقاع بن حكيم عن ذكوان عن أبي هريرة انه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ، ما لقيت من عقرب لدغني البارحة ، قال « أما انك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك » رواه مسلم ومالك والترمذي

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفرع « بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ، وشر عباده ، ومن همزات الشياطين ، وان يحضرون » فكان عبد الله ابن عمرو يعلمها من بلغ من ولده ، ومن لم يبلغ كتبها وعلقها عليه

فاستعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر ان يستعاذ في هذه الاخبار بكلمات الله تعالى كما أمره الله جل ثناؤه أن يستعيذ به فقال (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين * واعوذ بك رب ان يحضرون) وقال (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) ولا يصح أن يستعيذ المخلوق بالمخلوق فدل انه استعاذ بصفة من صفات ذاته وهي غير مخلوقة كما أمره الله ان يستعيذ بذاته وذاته غير مخلوقة قال البيهقي روى ميسرة عن علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول عند مضجعه « اللهم اني أعوذ بوجهك الكريم ، وبكلماتك التامة من شر ما أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم ، لا يهزم جندك ، ولا يخلف وعده ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، سبحانه وبمحمدك »

فاستعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمات الله كما استعاذ بوجه الكريم فكما ان وجهه الذي استعاذ به غير مخلوق فكذلك كآاته التي استعاذ بها غير

مخلوقة وكلام الله تعالى واحد ، وانما جاء باللفظ الجمع على معنى التفعيم والتعظيم وهذه الآيات والا حاديث صريحة في ان المسموع كلام الله وانه قديم والقول هو الكلام قال الله عز وجل (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني) وقال (لقد حق القول على أكثرهم) وقال (ما يبدل القول لدى) وقال (ومن أصدق من الله قيلا) وقال (ومن أصدق من الله حديثا) وقال (سلام قولا من رب رحيم) وقال (قوله الحق وله الملك) وقال (فالحق والحق أقول) فأثبت الله جل ثناؤه لنفسه صفة القول في هذه الآيات

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا تهمجد من الليل قال « اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ، ولك الحمد أنت قيم السموات والارض ومن فيهن ، أنت الحق ووعدك الحق ، وقولك الحق ولقاؤك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت ، واليك أنبت وبك خاصمت ، واليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهي لا إله الا أنت »

وقد قال تعالى (وكلم الله موسى تكليما) فوصف نفسه بالتكليم وو كده بال تكرار فقال تكليما وقال تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) وقال (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله) وذكر في غير آية من كتابه ما كلم به موسى عليه السلام فقال (يا موسى إني أنا ربك فاخضع لعليكم — إلي قوله — واصططعتك لنفسي) وقال (يا موسى أي اصطفتيك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) فهذا كلام سمعه موسى من ربه بلا ترجمان كان بينه وبينه فدعاه الى وحدانيته وأمره بعبادته واقامة الصلاة لذكره وأخبر انه اصططعه لنفسه واصططفاه برسالاته وبكلامه

وروى البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « احتج آدم وموسى

فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقل له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة اتلوهني على أمر قدره علي قبل أن يخلقني؟ قال فخرج آدم موسى « وفي هذا ان موسى كله الله تكليماً وسمع كلامه بلا واسطة وأما قوله (وما كان ابشر ان يكلمه الله إلا وحياً او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء) فالوحي أول ما أرى الله الانبياء في مقامهم قال الشافعي رحمه الله وغيره من العلماء رؤيا الانبياء وحي لقول ابن ابراهيم لما أمر أنوه في المنام بنبيه (افعل ما تؤمر)

وأما الكلام من وراء حجاب فهو كما كلم الله موسى من وراء حجاب وروى البيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن موسى عليه السلام قال يارب أرنا الذي أخرجنا ونفسه من الجنة فأراه الله عز وجل آدم عليه السلام، فقال: أنت أبونا آدم؟ فقال له أبونا آدم نعم، فقال أنت الذي نفخ الله فيك من روحه وعلمك الاسماء كلها وأمر الملائكة فسجدوا لك؟ قال نعم قال: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ قال له آدم فمن أنت؟ قال أنا موسى، قال أنت نبي بني إسرائيل الذي كلمك الله من وراء حجاب لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه؟ قال نعم » الخ الحديث

وأما الكلام بالرسالة فهو إرسال الروح الامين الى من شا من عباده قال الله تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين) والاحاديث في ذلك كثيرة

قال البيهقي وقد كان لنبيينا (ص) هذه الانواع الثلاثة: أما الرسالة فقد كان جبريل يأتيه بها من عند الله عز وجل

وأما الرؤيا في المنام فقد قال الله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) وأما التكليم فقد قال الله عز وجل (فوحي الى عبده ما وحي) ثم كان فيما أوحى

اليه ليلة المعراج خمسين صلاة ، فلم يزل يسأل ربه التخفيف لامته حتى صارت الى خمس صلوات وقال له ربه « (ما يبذل القول لدى) وهي بخمسين صلاة »

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله ، هل نرى ربنا جل ذكره ؟ قال (هل تضارون في رؤية الشمس اذا كان صحو ؟) قلنا لا ، قال « فتضارون في رؤية القمر ليلة البدر اذا كان صحو ؟ » قلنا لا قل فانكم لا تضارون في رؤية ربكم الا كما تضارون في رؤيتهما نعم يذاذي مناد ، ليذهب كل قوم مع من كانوا يعبدون » فذكر الحديث قال فيه . « فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونها ؟ فيقولون الساق ، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقي من كان يسجد رياء ، وسمعة فيذهب كما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا »

وقال صلواته عليه وسلم « انكم سترون ربكم عز وجل يوم القيامة كما ترون الشمس لا تضامون في رؤيتها »

فاما أهل الحديث والسنة المحضة فانهم متفقون على اثبات العلو والمباينة والرؤية والمعتزلة ينفونها واختلف الاشعرية في العلو واتفقوا على الرؤية بلا مقابلة قل ابن القيم : من اثبت احدهما ونفي الآخر فهو اقرب الى الشرع والعقل بمن نفاهما ، لان الايات والاحاديث والاثار المنقولة عن الصحابة في دلالتها على العلو والرؤية أعظم من ان تنحصر ، وليس مع نفاة الرؤية والعلو ما يصلح ان يذكر من الادلة الشرعية وانما يزعمون ان عدم ادلة عقلية

فقول الاشعرية المتناقضين في العلو خير من قول المعتزلة النافين للرؤية والعلو وذلك انا اذا عرضنا على العقل وجود موجود لا يشار اليه ولا يصعد اليه شيء ولا ينزل منه شيء ولا هو داخل العالم ولا هو خارجه ولا ترفع الايدي اليه ولا هو فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا خلف ولا امام كانت الفطر تنكر ذلك والعقول الصحيحة ، لانه لو قيل لك صف شيئا بالعدم لما قلت اكثر من ذلك كما قاله الحافظ الذهبي

وقد تمسك من نفى الرؤية من اهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة بقوله (إن تراني) وقال «لن» تكون للتأييد النفي ودوامه والمعتزلة لا يشهد لهم بذلك كتاب ولا سنة وما قالوه في أن لن للتأييد خطأ بين وليس يشهد لما قالوه نص عن اهل اللغة والعربية

وبدل على ذلك قوله تعالى في اليهود (ولن يتمنوه ابدا) مع أنهم يتمنون الموت يوم القيامة ويدل عليه قوله تعالى (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك) وقوله (يا ليتها كانت القاضية)

وقد انفق على الرؤية الانبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الاسلام على تنابع القرون وانكرها اهل البدع المارقون والجهمية المهوكون والفرعونيون المعطلون والباطنية الذينهم من جميع الاديان منسلخون، والرافضة الذينهم بحبائل الشيطان متمسكون، وعن حبل الله منقطعون، ولكل عدو لله ورسوله ولائته مسالمون. وكل هؤلاء عن ربه محجوبون، وعن بابه مطرودون اولئك أحزاب الضلال شيعه اللعين. وقد قال تعالى (إن تراني ولكن أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلج ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) فبيان الدلالة من هذه الآية على الرؤية من وجوه عديدة

(أحدها) انه لا يظن بكليم الرحمن ان يسأل ربه ما لا يجوز عليه بل ذلك من ابطال الباطل وأعظم المحال، فيالله العجب كيف صار اتباع الصابئة والمجوس والمشركين وفروخ الجهمية والفرعونية اعلم بما يجب لله ويستحيل عليه واشد تنزيها له من رسوله وكلميه؟

(الوجه الثاني) ان الله سبحانه لم ينكر عايه سؤاله ولو كان محالا لا نكره عليه، ولهذا لما سأل ابراهيم الخليل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى لم ينكر عليه ولما سأل عيسى بن مريم ربه أن ينزل مائدة من السماء لم ينكر سؤاله، ولما سأل

تروح ربه نجاه ابنه أنكر عليه سؤاله وقل (اني أعظك ان تكون من الجاهلين*
قال رب إني أعوذ بك اذ أسألك ما ليس لي به علم ، وإلا تغفر لي وترحمني أكن
من الخاسرين)

(الوجه الثالث) انه أجابه بقوله (ان تراني) ولم يقل اني لا أرى ولا اني
لست بمرئي ، أولاً تجوز رؤيتي ، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله . وهذا يدل
على انه سبحانه مرئي ، ولكن موسى لا تحمل قواه رؤيته في هذا الدار لضعف
قوة البشر عن رؤيته تعالى . يوضحه :

(الوجه الرابع) وهو قوله (ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف
تراني) فأعلمه ان الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار فكيف
بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف ؟

(الوجه الخامس) ان الله سبحانه قادر على ان يجعل الجبل مستقراً مكانة
وليس هذا بممتنع في مقدوره ، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ، ولو كانت
محالا في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته

(الوجه السادس) قوله (فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا) وهذا من أبين الأدلة
على جواز رؤيته تبارك وتعالى فانه اذا جاز أن يتجلّى للجبل الذي هو جواد لا ثواب
له ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلّى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويربهم
نفسه ؟ فأعلم سبحانه موسى عليه السلام ان الجبل اذا لم يثبت لرؤيته في هذه
الدار فالبشر أضعف

(الوجه السابع) ان الله سبحانه قد كلمه منه اليه وخاطبه وناجاه وناداه ،
ومن جاز عليه التكلم والتكليم ، وسمع كلامه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ،
ولهذا لا يتم انكار الرؤية إلا بانكار التكليم
وقد جمعت هذه الطوائف بين انكار الامرين فأُنكروا ان يكلم الله أحداً او يراه

أحد ، ولهذا سأله موسى النظر اليه لما سمعه كلامه ، وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه ، ولم يخبر سبحانه باستحالة ذلك عليه ولكن أراه ان مأسأله لا يقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليبه

وأما قوله (لن تراني) فانما يدل على النفي في المستقبل ولا يدل على دوامه ولو قيد بالتأيد فكيف اذا أطلق كما قال تعالى (ولن يتمنوه أبداً) مع قوله (ونادوا يا مالمك ليقض علينا ربك)

والدليل اثباتي قوله تعالى (واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه) وقوله تعالى (تحيتهم يوم يلقونه سلام) وقوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه) وقوله تعالى (يظنون انهم ملاقوا ربهم) وأجمع اهل اللسان ان اللقاء هو نسب الى الحي السليم من العمار المانع اقتضى المعاينة والرؤية (١) ولا ينقض هذا بقوله تعالى (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه) فقد دلت الاحاديث الصحيحة والصريحة على ان المنافقين يرونه في عرصات القيامة ، بل والكفار ايضا كما في الصحيحين من حديث التجلي يوم القيامة

وفي هذه المسئلة ثلاثة اقوال لأهل السنة (احدها) انه لا يراه الا المؤمنون (والثاني) يراه المؤمن والمنافق (والثالث) يراه جميع اهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك ، والاقوال الثلاثة في مذهب أحمد وهي لأصحابه ، وكذلك الاقوال الثلاثة بعينها في تكلمه لهم ، والشيخ الاسلام في ذلك مصنف مفرد حكى فيه الاقوال الثلاثة وحجج اصحابها

وكذلك قوله سبحانه وتعالى (يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فلاقية) ان عاد الضمير على العمل فهو رؤيته في الكتاب مسطورا ، وان عاد على الرب تعالى فهو لقاءه الذي وعد به

(والدليل الثالث) قوله تعالى (والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم)* للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) فالحسنى الجنة ، والزيادة النظر الى وجهه الكريم ، وكذلك فسرهما الذي انزل عليه القرآن صلى الله عليه وسلم والصحابه بعده كما رواه مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن صهيب رضي الله عنه قال قرأ صلى الله عليه وسلم (للمؤمنين احسنوا الحسنى وزيادة) ثم قال «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا، يريد ان ينجزكموه، فيقولون ما هو؟ ألم ينقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويخرجنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون اليه، فما أعطاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه، وهي الزيادة»

وروى الحسن بن أنس بن مالك قل : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (للمؤمنين احسنوا الحسنى وزيادة) قل «للمؤمنين احسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى»

وروى محمد بن جرير عن كعب بن عجرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (للمؤمنين احسنوا الحسنى وزيادة) قال الزيادة النظر الى وجه الرحمن وروى ابو العالية عن أبي بن كعب قل سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (للمؤمنين احسنوا الحسنى وزيادة) قل الحسنى الجنة والزيادة النظر الى الله عز وجل وقل أبو بكر رضي الله عنه : الزيادة هي النظر الى وجه الله . وقال حذيفة رضي الله عنه : هي النظر الى وجه ربهم

وقال أبو موسى الأشعري هي النظر الى وجه الرحمن . وقال وهو يخطب الناس في جامع البصرة «ان الله عز وجل يبعث ملكا إلى أهل الجنة فيقول يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدهم ؟ فينظرون الى الحلي والحلل والانهار والازواج

المطهرة فيقولون نعم قد أنجز الله ما وعدنا ، ثم يقول الملك هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ ثلاث مرات فيقولون نعم ، فيقول قد بقي لكم شيء ؟ ان الله يقول (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) الا ان الحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم . وقال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما : الحسنى الجنة ، والزيادة النظر الى وجه الله ، والقبر السواد .

وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى وعامر بن سعد واسماعيل بن عبد الرحمن السدي والضحاك وعبد الرحمن بن سابط وابو اسحاق السبيعي وقتادة وسعيد بن المسيب والحسن وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد (الحسنى) الجنة (والزيادة) النظر الى وجه الله . ولما عطف سبحانه وتعالى الزيادة على الحسنى التي هي الجنة دل على انها أمر آخر وراء الجنة وقد زائد عليها ، ومن فسر الزيادة بالمغفرة والرضوان فهو من لو زعم رؤية الرب تبارك وتعالى والدليل الرابع قوله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)

ووجه الاستدلال بها انه سبحانه جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته وسماع كلامه ، فلم يره المؤمنون ويسمعوا كلامه كانوا أيضاً محجوبين عنه .

وقد احتج بهذه الحجة الامام الشافعي وغيره من الائمة فذكره الطبراني وغيره عن المزي قال : سمعت الشافعي يقول في قول الله عز وجل (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال فيها دليل على ان أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة .

وقال الحاكم : حدثنا الاصم حدثنا الربيع قال حضرت محمد بن ادريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها ما تقول في قوله (كلا انهم عن ربهم

يومئذ لمحجوبون) قال لما حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على ان أوليائه يرونه في الرضاء

(والدليل الخامس) قوله عز وجل (لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد) قل الطبراني قال علي بن ابي طالب وأنس بن مالك: هو النظر الى وجه الله عز وجل (والدليل السادس) قوله عز وجل (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) والاستدلال بهذه الآية عجيب فانه من أدلة نفاة الرؤية

وقد قرر شيخ الاسلام ابن تيمية وجه الاستدلال بها أحسن تقرير وقال : لا يحتاج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله الا وفي ذلك الدليل ما يدل على تنقيض قوله. فمنها هذه الآية، وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها ، فانه سبحانه ذكرها في سياق التمدح . ومعلوم ان المدح انما يكون بالاوصاف الثبوتية ، وأما العدم المحض فليس بكامل ولا يتمدح به ، وانما بمدح الرب تعالى بالعدم اذا تضمن أمراً وجودياً، كتمدحه سبحانه وتعالى بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة ، ونفي الغيوب والاعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته والهيته وقهره ونفي الاكل والشرب المتضمن كمال صمديته ، وغناه عن خلقه ، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغنائه ، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه واحاطته ، ونفي المثل المتضمن كمال ذاته وصفاته. ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتياً ، فنال المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم ، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه

فلو كان المراد بقوله (لا تدركه الابصار) انه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدحاً ولا كلاً لمشاركة المعدوم له في ذلك ، فان العدم الصرف الذي لا يرى ولا

تدرکه الابصار ، والرب جل جلاله یتعالی ان یمدح بأمر یشارکه فیہ العدم المحض ، فالعنی انه یرى ولا یدرک ولا یحاط به ، كما کان المعنی فی قوله (ولا یعزب عن ربک من مثقال ذرة) انه یعلم کل شیء وفي قوله (وما مسنا من لغوب) انه کامل القسرة . وفي قوله (ولا یظلم ربک أحداً) انه کامل العدل ، وفي قوله (لا تأخذه سنة ولا نوم) انه کامل القيومية .

وقوله (لا تدرکه الابصار) يدل على غاية عظمتہ ، وانه أكبر من کل شیء ، وانه لعظمتہ لا یدرک بحیث لا یحاط به ، فان الادراك هو الاحاطة بالشیء وهو قدر زائد على الرؤیة كما قال تعالى (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون * قال كلا) فلم ینف موسى الرؤیة ولم یریدوا بقولهم انا لمدركون : لمربیون ، فان موسى علیه السلام نفى ادراكهم اياهم بقوله (كلا)

فأخبر الله سبحانه انه لا یخاف درکهم بقوله (ولقد أوحینا إلى موسى أن أسر بعبادي فأضرب لهم طریقاً فی البحر یبسا لا تخاف درکاً ولا تخشى) فالرؤیة والادراك کل منهما یوجد مع الآخر وبدونه ، فالرب تعالى یرى ولا یدرک ، كما یعلم ولا یحاط به ، وهذا الذی فهمه الصحابة والأئمة . قال ابن عباس (لا تدرکه الابصار) لا تحیط به الابصار .

فالْمُؤْمِنُونَ یرون ربهم تبارک وتعالی بأبصارهم عیاناً ولا تدرکه أبصارهم بمعنی انها لا تحیط به ، وهكذا یسمع كلامه من یشاء من خلقه ولا یحیطون بكلامه ، وكذلك یعلم الخلق ما علمهم ولا یحیطون بعلمه .

ونظیر هذا استدلالهم على نفی الصفات بقوله تعالى (ایس کمثلہ شیء) وهذا من أعظم الأدلة على کثرة صفات کماله ونعوت جلاله ، وانها اکثرتها وعظمتها وسعتها لم یکن له مثل فیها ، وهكذا جمیع العقلاء انما یفهمون من قوله القائل : فلان لا مثل له وليس له نظیر ولا شبیه ، انه قد تميز عن الناس بأوصافه

ونعوت لا يشار كونه فيها ، وكما كثرت أوصافه ونعوته فات وبعد عن مشابهة
اضرابه، فكيف بالحلي القيوم الذي لا مثل له في ذاته وصفاته ؟ فقلوه (ليس مثله
شيء) من أدل شيء على كثرة نعوته وصفاته . وقوله (لا تدركه الابصار)
من أدل شيء على أنه يرى ولا يدرك

(والدليل السابع) قوله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) فأنت
إذا أخرجت هذه الآية عن تحريفها عن موضوعها ، والكذب على المتكلم بها
سبحانه فيما أراد منها ، وجدتها منادية نداء صريحا ان الله سبحانه يرى عيانا
بالابصار يوم القيامة ، وان آيت الا تحريفها الذي يسميه المحرفون : تأويل ، فتأويل
نصوص المواد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها ،
وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك ، ولا يشاء مبطل على وجه الارض
أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها الا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجد
متأول مثل هذه النصوص ، وهذا الذي أفسد الدين والدنيا ،

واضافة النظر إلى الوجه الذي هو محل في هذه الآية ، وتعديته باداة إلى الصريحة
في نظر العين واخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه
المعدي إلى خلاف حقيقته وموضوعه - صريح في ان الله أراد بذلك نظر العين
التي في الوجه إلى نفس الرب جل جلاله ، فان النظر له عدة استعمالات بحسب
صلاته وتعديه بنفسه فان عدي بنفسه فعناه التوقف والانتظار كقوله (انظرونا
نقتبس من نوركم) وان عدي بغيره فعناه التفكير والاعتبار كقوله (او لم ينظروا في
ملكوت السموات والارض) وان عدي إلى فعناه المعاينة بالابصار كقوله
(انظروا إلى ثمره إذا أثمر) فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل النظر ؟
وكيف وقد قال ﷺ في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) قال « من البهاء والحسن »
(إلى ربها ناظرة) قال « في وجه الله عز وجل »

فسمع أيها الانسان تفسير النبي ﷺ ، والاحاديث الدالة على الرؤية متواترة رواها عنه ﷺ ابو بكر الصديق وابو هريرة وابو سعيد الخدري وجابر ابن عبدالله وصهيب وعبدالله بن مسعود وعلي بن أبي طالب وابو موسى الاشعري وعدي بن حاتم الطائي وأنس بن مالك الانصاري وبريدة بن الحصيب الاسلمي وابو رزين وجابر بن عبدالله وابو امامة الباهلي وزيد بن ثابت وعمار بن ياسر وعائشة أم المؤمنين وعبدالله بن عمر وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وعبدالله ابن عباس وعبدالله بن عمرو بن العاص وحديثه موقوف وأبي بن كعب وكعب ابن عجرة وفضالة بن عبيد ، وحديثه موقوف . فمن أراد الاطلاع عليها فليراجعها في مظانها

وقوله تعالى (هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) وهذه الآية من أدل شيء على مباينة الرب خلقة باستوائه على عرشه وهو يعلم ما هم فاعلون ، ويراهم وينفذهم بصره ويحيط بهم علما وقدرة رازدة وسمعا وبصرا ، فهذا معنى كونه سبحانه معهم أينما كانوا . انتهى كلام ابن القيم

قال الحافظ الذهبي في قوله تعالى (وهو معكم) هو كما إذا كتبت الى رجل : إني معك وأنت غائب عنه . قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في ربيعة وحبيب ابني عمر وصفوان بن أمية كانوا يوما يتحدثون ، فقال أحدهم : هل يعلم الله ما نقول ؟ وقال الثاني يعلم البعض دون البعض ، وقال الثالث إن كان يعلم البعض فيعلم الكل . والمراد من قوله تعالى (رابعهم) والمراد من قوله تعالى (معهم) كونه تعالى عالما بكلامهم وضميرهم وسرهم واعلانهم كما قال ابن مسعود رضي الله عنه « العرش فوق الماء ، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم »

وعن زر عن عبد الله قال « ما بين السماء القصوى وبين الكرسي خمسمائة سنة ، وما بين الكرسي والماء خمسمائة سنة ، والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم »

وقال البيهقي : لقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله فيما نفي عن الله عز وجل من الكون في الارض ، وأصاب فيما ذكر من تأويل الآية ، وتبع مطلق السمع بان الله تعالى في السماء .

وبلغنا عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي صاحب الفقه الأكبر قال : سألت أبا حنيفة عن يقول لأعرف ربي في السماء أو في الارض فقال : قد كفر لان الله يقول (الرحمن على العرش استوى) وعرشه فوق سمواته ، فقلت انه يقول أقول : على العرش استوى ، ولكن قال لا يدري العرش في السماء أو في الارض ؟ فقال : اذا أنكر أنه في السماء فقد كفر . رواها صاحب الفاروق بإسناد عن أبي بكر بن يحيى عن الحكم

وسمعت الفاسي الامام تاج الدين عبد الخالق بن علوان قال سمعت الامام أبا محمد عبد الله بن احمد المقدسي مؤلف المقنع يقول : بلغني عن أبي حنيفة رحمه الله انه قال : من أنكر ان الله عز وجل في السماء فقد كفر

وقال محمد بن كثير سمعت الاوزاعي يقول : كنا والتابعين نقول إن الله عز وجل فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته . أخرجه البيهقي في كتاب الاسماء والصفات

وروى أبو اسحاق المفسر قال : سئل الاوزاعي عن قوله تعالى (ثم استوى على العرش) قال هو على العرش كما وصف نفسه

وقد سأل الوليد بن مسلم الامام أبا عمرو الاوزاعي عن أحاديث الصفات فقال أمروها كما جاءت

ومن كلام هذا الامام عليك بآثار من سلف ، وإياك وآراء الرجال وإن
تخففوه لك بالقول

وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة عن مقاتل بن حيان في
قوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) قال هو على عرشه وملكه
معه . وروى البيهقي بإسناد عن مقاتل بن حيان قال : بلغنا - والله أعلم - في قوله
تعالى (هو الاول) قبل كل شيء ، (والآخر) بعد كل شيء ، (والظاهر)
فوق كل شيء ، (والباطن) أقرب من كل شيء ، وإنه قريب بملكه وهو فوق
عرشه . وسئل سفيان الثوري عن قوله عز وجل (وهو معكم أينما كنتم) قال علمه
وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل في الرد على الجهمية حدثني أبي حدثنا شرح
ابن النعمان عن عبد الله بن نافع قال مالك بن أنس « الله في السماء ، وعنه في كل
مكان لا يخلو منه » ولهذا افتتح سبحانه وتعالى الآية بالعلم واختتمها بالعلم بقوله
(أن الله يعلم) وقوله (بكل شيء عليم) كما قاله الامام أحمد بن حنبل رحمه الله ،
وقال تعالى (ويحذركم الله نفسه) وقال (كتب ربكم على نفسه الرحمة) وقال
(واصطنعتك لنفسى) وقال فيما أخبر به عن عيسى عليه السلام (تعلم ما في نفسي
ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال « لا أحد أغير من الله ، ولذلك
حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا شيء أحب إليه المدح من الله ولذلك
مدح نفسه » رواه البخاري في الصحيح عن حفص بن عمر وأخرجه مسلم من وجه
آخر عن سعد ، وعنه قال : قال النبي ﷺ « ما أحد أحب إليه المدح من الله
ومن أجل ذلك مدح نفسه ، وما أحد أغير من الله ، ومن أجل ذلك حرم الفواحش »
وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لما قضى الله الخلق كتب في كتاب
كتبه على نفسه وهو مرفوع فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي » رواه مسلم

في الصحيح . وعنه ان رسول الله ﷺ قال « ان الله سبحانه لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه : ان رحمتي سبقت غضبي »

وعنه عن النبي ﷺ قال « التقى آدم وموسى فقال موسى لآدم أنت آدم الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة ؟ قال فقال آدم لموسى أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته واصطفاك لنفسه » الحديث رواه البخاري في الصحيح وعن الصلت بن محمد وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وان تقرب إلي شبراً تقربت اليه ذراعاً ، وان تقرب الي ذراعاً تقربت منه باعاً ، وان أتاني يمشي أتيته هرولة » أخرجاه في الصحيح من وجه عن الاعمش وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ عن الله « ابن آدم اذ ذكرني في نفسك اذ ذكرك في نفسي ، فان ذكرني في ملأ ذكرتك في ملأ من الملائكة - أوقال - في ملأ خير منه »

وعن أبي ذر الغفاري عن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل أنه قال « اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » رواه مسلم في الصحيح وعن ابن عباس عن جويرية أن رسول الله ﷺ مر بها حين صلى الغداة او بعد ما صلى الغداة وهي تذكر الله ثم مر بها بعد ما ارتفع النهار او بعد ما انتصف النهار وهي كذلك فقال لها « لقد قات منذ وقفت عليك كليات ثلاث مرات هن أكثر أو ارجح أو اوزن مما كنت فيه منذ الغداة سبحانه الله عدد خلقه ، سبحانه الله رضى نفسه ، سبحانه الله زينة عرشه ، سبحانه الله مداد كلماته » رواه مسلم في الصحيح وعن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قرأ على المنبر (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة) فجعل رسول الله ﷺ يقول « كذا

يمجد نفسه جل وعز: أنا الجبار أنا العزيز أنا المتكبر « فرجف به المنبر حتى قلنا ليخر به الى الارض

وقال تعالى (ولتصنع على عيني - وقال - فانك بأعيننا - وقال - واصنع الفلك بأعيننا)

عن نافع ان عبد الله بن عمر أخبره أن المسيح الدجال ذكر بين ظهراني الناس فقال رسول الله ﷺ « ان الله ليس بأعور الا ان المسيح الدجال أعور عينه اليمين، كأن عينه عنبة طافية » رواه البخاري في الصحيح وعن أنس عن النبي ﷺ انه قال « ما بعث نبي الا وقد أذرت أمته الأعور الكذاب الا انه أعور وان ربكم ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه كافر » وعن ابن عباس (واصنع الفلك بأعيننا) قال بعين الله تبارك وتعالى

وقال تعالى (يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون * خاشعة أبصارهم) عن أبي سعيد الخدري انه قال : قلنا يا رسول الله أنرى ربنا تعالى ذكره ؟ قال « هل تضارون في رؤية الشمس إذا كان صحو ؟ » قلنا لا قال فتضارون في رؤية القمر ليلة البدر إذا كان صحو ؟ » قلنا لا قال « فانكم لا تضارون في رؤية ربكم الا كما تضارون في رؤيتهما، ثم ينادي مناد: ليذهب كل قوم مع من كانوا يعبدون - فذكر الحديث وقال فيه - فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونها ؟ فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد رياء وسمعة، فيذهب كما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً » قال وذكر الحديث رواه البخاري في الصحيح عن ابن بكير ، ورواه عن آدم بن إياس عن الليث مختصراً . وقال في الحديث « يكشف ربنا عن ساقه » ورواه مسلم عن عيسى بن حماد الليثي كما رواه ابن بكير

وروي ذلك أيضاً عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ . وقال تعالى

(عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) وقال
(والذين يشترون بهد الله وإيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا
يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم)

وعن أبي هريرة قل : قال رسول الله ﷺ في حديث ذكره « إن الله
لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم ، التقوى ههنا - وأشار
إلى صدره » رواه مسلم في الصحيح عن أبي الطاهر عن ابن وهب
وعنه عن النبي ﷺ قال « إن الله عز وجل لا ينظر إلى صوركم وأموالكم
ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »

وعنه عن النبي ﷺ قل « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسادكم
ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » هذا هو الصحيح المحفوظ فيما بين الحفاظ
فأما الجاري على السنة جماعة من أهل العلم وغيرهم « إن الله لا ينظر إلى
صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم » فهو مخالف الحديث الصحيح
واقوله تعالى (فسيرى الله عملكم)

وعن محمد بن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لم يكذب
إبراهيم قط إلا ثلاث كذبات : ثنتين في ذات الله قوله (اني سقيم) وقوله (بل
فعله كبيرهم هذا) وواحدة في شأن سارة أنها أختي » رواه البخاري في الصحيح
عن معبد بن تليد عن ابن وهب ورواه مسلم عن أبي الطاهر
وعن ابن عباس قال « تفكر في كل شيء ولا تفكر في ذات الله »

وعن أبي الدرداء « لا تفقه كل التفقه حتى تمتق الناس في ذات الله ثم تقبل
على نفسك فتكون لها أشد مقفًا منك للناس » إلى غير هذا من الآيات الصريحة
والاحاديث الصحيحة التي يجب الإيمان بها والعمل بمقتضاها من غير تحريف
وتبديل وتشبيه وتعطيل ، بل ثبت ما أثبت الله لنفسه ونكل عنه اليه ، ونقول

أمنّا بالله على مراد الله ، كما قاله خير القرون الذين هم بالله وصفاته عارفون من الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين ومن على سبيلهم من أئمة المسلمين ، كما قال أبو المعالي الحويني امام الحرمين لقد تأملت الطارق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عيلا ولا تروي غليلا ، بل هم بين مشبه ومعتل ، والطريق المختص منحا طريق القرآن اقرأ في الاثبات (الرحمن على العرش استوى) (اليه يصعد الكلم الطيب) واقرأ في النفي (ليس كشيء) (ولا يحيطون به علما) ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي

قال ابن القيم : من ظن ان الله سبحانه وتعالى أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل وتشبيه وتمثيل ، وترك الحقائق المقصودة من كلامه سبحانه وتعالى ورمز اليهم رموزاً بعيدة ، وأشار اليهم اشارة ملغزة ، وصرح بالتشبيه والتثيل والامور الباطلة التي لا تجوز عليه ولا تليق به ، وأراد من خلقه ان يبعثوا أذهانهم وقواهم وأفكارهم في تحريف كلامه عن موضعه ، وتأويله على غير تأويله المفهوم من ظاهره ، ويتطلبوا له وجوه الاحتمالات المستكرهه شرعا وعقلا ، والتأويلات التي هي بالالغاز والاحاجي أشبه منها بالكشف والبيان ، وأحاطهم في معرفته وأسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم لاعلى كتابه ، بل أراد منهم ان لا يحملوا كلامه على ما يعرفون من خطابهم ولغتهم مع قدرته على أن يصرح لهم بالحق الذي ينفي التصريح به ، ويرجحهم من الالفاظ التي توقعهم في الاعتقاد الباطل فلم يفعل ، بل سلك بهم خلاف طريق الهدي والبيان - فقد ظن به ظن السوء

فانه إن قيل انه غير قادر على التعبير عن الحق باللفظ الصريح الذي عبر به هو وسلفه فقد ظن العجز بقدرته

وإن قيل انه قادر ولم يبين وعدل عن البيان والتصريح بالحق إلى ما يؤهم ،

بل يقع في الباطل المحال والاعتقاد الفاسد ، فقد ظن بمحكمته ورحمته ظن السوء ، وظن انه وسافه عبروا عن الحق بصريحه دون الله ورسوله ، وان الهدى والحق في كلامهم وعبارتهم ، وأما كلام الله فأنما يؤخذ من ظاهره التشبيه والنشيل والاضلال وظاهر كلام المنهوكين الحازين هو الهدى والحق ، هذا من سوء الظن ، بالله فكل هؤلاء من الظانين بالله ظن السوء ، ومن الظانين بالله غير الحق ظن الجاهلية ومن ظن به انه ليس فوق سمواته على عرشه بأئن من خلقه وان نسبة ذاته تعالى إلى عرشه كنسبتها إلى أسفل السافلين ، فقد ظن به ظن السوء ، ومن ظن أنه أسفل كما هو أعلى ، وان من قل سبحان ربي الأسفل كمن قال سبحان ربي الأعلى فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه

ومن ظن به خلاف ما وصف به نفسه او وصفه به رسوله ، او عطل حقائق ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فقد ظن به ظن السوء .

ومن ظن به ان أحدًا يشفع عنده بغير اذنه ، وان بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم اليه ، وانه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم اليه ، ويتوسلون بهم عليه ، ويجمعونهم وسائط بينه وبينهم فيدعونهم في حاجتهم اليه سبحانه وتعالى ، فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه

وقل الحافظ الذهبي: ما أدركنا عليه العلماء في جميع الامصار حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً يقولون إن الله على عرشه بأئن من خلقه كما وصف نفسه بلا كيف ، وأحاط بكل شيء علماً ، وهكذا يقولون في جميع الصفات القدسية

وقال الحافظ ابو القاسم الطبراني مذهبنا واختيارنا اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين من بعدهم ، والتمسك بمذاهب أهل الاثر مثل الشافعي واحمد وغيرهم رحمهم الله ، ونعتقد ان الله عز وجل على عرشه بأئن من خلقه (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير)

وقال محمد بن أسلم الطوسي القرآن كلام الله غير مخلوق أينما تلي وحينما كان لا يتغير ولا يتبدل ، ينقل من المصحف مائة مصحف وذاك الاول لا يتحول في نفسه ولا يتغير ، وتلقن القرآن ألف نفس وما في صدرك باق بهيئته ، وذاك ان المكتوب والكتابة تعادلت والذي في صدرك واحد وما في صدور المؤمنين هو عين ما في صدرك ، والتلو واحد وإن تعدد التالون له ، وهو كلام الله ووحيه وتنزيله ليس هو كلامنا أصلا ، وتكلمنا به ، وتلاوتنا نه من أفعالنا ، وكذلك كتابتنا له وأصواتنا به من أعمالنا (والله خلقكم وما تعملون)

فالقرآن المتلو مع قطع النظر عن أعمالنا كلام الله ليس بمخلوق فاذا سمعه المؤمنون في الآخرة من رب العالمين فالتلاوة إذ ذاك والمتلو ليسا بمخلوقين وقال عبد الله بن الامام احمد سألت ابي ما تقول في الرجل يقول التلاوة مخلوقة ، والمفاظنا بالقرآن مخلوقة ، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ؟ وكان ابي يكره أن يتكلم في اللفظ بشيء او يقال لمخلوق او غير مخلوق - كلام حسن وإلا فالملفوظ كلام الله ، والتلفظ به فمن كسبنا

وقل الامام ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - في كتابه مختلف الحديث نحن نقول في قول الله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) يعلم ما هم عليه كما اذا وجهت رجلا إلى بلد وقلت له احذر التقصير فاني معك ، تريد انه لا يخفى علي تقصيرك . ولا يسوغ لاحد أن يقول انه سبحانه بكل مكان على الحلول فيه مع قوله (الرحمن على العرش استوى) ومع قوله (اليه يصعد الكلم الطيب) فكيف يصعد اليه شيء هو معه ، وكيف تعرج الملائكة والروح اليه وهي معه ؟ ولو ان هؤلاء رجعوا الى فطرم وما ركت عليه ذواتهم في معرفة الخالق لعلموا ان الله عز وجل هو اعلى الاعلى ، وان الايدي ترفع بالدعاء اليه ، والامم كلها أعجميها وعربها تقول : ان الله في السماء ما ركت على فطرها

وقال ابن خزيمة : من لم يقر بان الله على عرشه استوى فوق سبع سمواته
جائن من خلقه ، فهو كافر يستتاب ، فان تاب والا ضربت عنقه ، وكان اماما في
الحديث واماما في الفقه

وقال ابن سريج : حرام على العقول أن تمثل الله ، وعلى الاوهام أن تحده ،
وعلى الالباب أن تصفه بغير ما وصف به نفسه في كتابه او على لسان رسول الله
ﷺ . وقد صح عند جميع اهل الديانة والسنة الى زماننا ان جميع الآيات والاخبار
الصادلة عن رسول الله ﷺ يجب على المسلمين الايمان بكل واحد منها كما ورد
وان السؤال عن معانيها بدعة وكفر وزندقة . مثل قوله (الرحمن على العرش استوى)
وقوله (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) وقوله (وجاء ربك والملك
صفاء صفا) ونظائرها مما نطق به القرآن كالفوقية والنفوس ، واليدين والوجه ،
والسمع والبصر والضحك والتعجب ، والنزول الى السماء الدنيا : اعتقادنا فيه
وفي الآي المتشابهة في القرآن أن نقبلها ولا نردها ، ولا نتناولها بتأويل المخالفين
ولا نحملها على تشبيه المشبهين ، ولا نترجم عن صفاته بلغة غير العربية

وسئل ابو جعفر الترمذي عن حديث نزول الرب فقال : النزول معقول ،
والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة

فالنزول والكلام والسمع والبصر والاستواء عبارات جليلة واضحة للسامع
فاذا اتصف بها من ليس كمثله شيء فالصفة تابعة للموصوف

وقال الطحاوي في العقيدة التي ألفها (ذكر بيان السنة والجماعة على مذهب
ابي حنيفة وابي يوسف ومحمد رضي الله عنهم) نقول : في توحيد الله معتقدين أن
الله واحد لا شريك له ، ولا شيء مثله ، ما زال بصفاته قبل خلقه . وان القرآن
كلام الله يتلى ، وأنزله على نبيه وحيا ، وصدقه المؤمنون حقا ، وأيقنوا انه كلام

الله بالحقيقة ليس بمخلوق ، فمن سمعه وزعم أنه كلام البشر فقد كفر . والرؤية
لأهل الجنة حق بغير إحاطة ولا كيفية

وكل ما في ذلك من الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال ومعناه على
ما أراد سبحانه وتعالى . ولا تثبت قدم الاسلام ، إلا على ظهور التسليم والاستسلام ،
فمن رام ما حظر عليه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه ، حجبته مرأته عن خالص التوحيد ،
وصحیح الايمان ، ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه ، الى أن قال :
والعرش والكرسي حق كما بين في كتابه ، وهو مستغن عن العرش وما دونه ،
محيط بكل شيء ، وفوقه

وقال ابو الحسن الاشعري في كتابه الذي سماه (اختلاف المصايين ، ومقالات
الاسلاميين) فذكر فرق الخوارج والروافض والجهمية وغيرهم - الى أن ذكر
مقالات أهل السنة وأصحاب الحديث قال : قولهم الاقرار بالله ولائكمته وكتبه
ورسله ، وبما جاء عن الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ، وان الله
تعالى على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وان له يدين بلا كيف كما
قال (بيدي) وان أسماء الله لا يقال انها غير الله كما قال المعتزلة ، ويقولون
ان لله علما كما قال (أنزله بعلمه وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) وأثبتوا
السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك كما نفته المعتزلة وقالوا : لا يكون في الارض
من خير وشر إلا ما شاء الله كما قال تعالى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) ويقولون
القرآن كلام الله غير مخلوق ، ويؤمنون بالاحاديث التي جاءت عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم « إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر »
الحديث . ويقولون ان الله يحيي . يوم القيامة كما قال (وجاء ربك والملك صفا صفا)
وان الله تعالى يقرب من خلقه كيف شاء قال (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد)

الى أن قال - فهذا جملة ما يأمرون به ويعتقدونه ويرونه. وبكل ما ذكرنا من قولهم
نقول واليه نذهب .

وذكر الاشعري في كتابه المذكور في [باب هل الباري تعالى في مكان
دون مكان أم ليس في مكان أم في كل مكان ؟] فقال

اختلفوا في ذلك على سبع عشرة مقالة (منها) قول أهل السنة وأصحاب الحديث
انه ليس بجسم ولا يشبه الاشياء ، وانه على العرش كما قال (الرحمن على العرش
استوى) ولا تتقدم بين يدي الله بالقول بل نقول : استوى بلا كيف ، وان له
يدين كما قال (خلقت بيدي) وانه ينزل الى سماء الدنيا كما جاء في الحديث -
ثم قال - وقالت المعتزلة استوى على عرشه بمعنى استولى ، وتأولوا اليد بمعنى النعمة
وقوله (تجري بأعيننا) أي بعلمنا .

وقال فيه أيضا في باب الاستواء فان قال قائل ماتقولون في الاستواء ؟ قيل
نقول : ان الله مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى *) اليه يصعد الكلم
الطيب - وقال - بل رفعه الله اليه)

وقال حكاية عن فرعون (وقال فرعون : يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ
الاسباب - أسباب السموات - فأطاع الى إله موسى واني لأظنه كاذبا) أ كذب
فرعون موسى في قوله : ان الله فوق سمواته . وقال عز وجل (أنتم من في السماء أن
يخسف بكم الارض) فالسموات فوقها العرش ، وكل ما علا فهو سماء ، والعرش
أعلى السموات ، فلو لا ان الله تعالى فوق عرشه ما اتا في حق ملائكته (يخافون
رهبهم من فوقهم) ولما فطر الخلق عند سؤاله على رفع الايدي إلى السماء

وقال قائلون من المعتزلة والجهمية والخرووية ن معنى (استوى) استولى
وملك وقهر ، بما يفيد التجدد والحدوث في الملك ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

بل هو مستو ومالك وقاهر على العرش وعلى جميع مخلوقاته من حين خلقهم وقالوا انه في كل مكان ، وجحدوا أن يكون على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء إلى القدرة ، فلو كان كما قالوا كان لافرق بين العرش وبين الارض السابعة لانه قادر على كل شيء ، وكيف يكون في كل مكان ؟ ومنه الحشوش والحانات ، والمزابيل ، وما أشبه ذلك من الاماكن المستقرة . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ولم يحز عند أحد من المسلمين أن يكون الله في شيء من ذلك فبطل ما يقولونه بالنقل والعقل .

وذكر أدلة من الكتاب والسنة والعقل سوى ذلك فلا نطيل بذكرها .
فلترجع في مظانها .

وقال احمد : جملة ما نقول أن نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وما جاء عن الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ وأن الله اله واحد في ذاته وصفاته لا اله غيره ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله تعالى مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وأن له وجهاً كما قال (ويبقى وجه ربك) وأن له يدين كما قال (بل يدها مبسوطتان) وأن له عيناً بلا كيف كما قال (تجري بأعيننا) وأن من زعم أن اسم الله غيره كان جاهلاً ، وأن الله يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر ، وأنه يقلب القلوب بين أصبعين من أصابعه ، وأنه يضع السموات على أصبع ، والارضين على أصبع وأنه ينزل في كل ليلة الى السماء الدنيا كما جاءت الاحاديث ، وأنه يقرب من خلقه كيف يشاء ، كما قال (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وكما قال (ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) - الى أن قال - ونرى مفارقة كل داعية الى بدعة ومجانبة أهل الاهواء وقد أخذ أبو الحسن (الأشعري) عن الجبائي ثم نابذه ورد عليه وصار متكماً بالسنة

هو وافق أئمة الحديث في جمهور ما يقولونه ، وقد نقل اجماعهم على ذلك وموافقتهم عليه ، وكان يتوقد ذكاء ، وتوفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، وله أربع وستون سنة رحمه الله

وقال علي بن خلف شيخ الحنابلة ببغداد : الكلام في الرب محدث وبدعة وضلالة ، فلا يتكلم في الله الا بما وصف به نفسه ، ولا يقال في صفاته : لم ؟ ولا كيف على عرشه استوى ؟ وعلمه بكل مكان ، والقرآن كلام الله وتنزيله ونوره ليس بمخلوق وقال الحافظ ابوبكر محمد بن الحسين الآجري في (كتاب الشريعة في السنة) في باب التحذير من مذهب الحلولية ، فالذي ذهب اليه أهل العلم ان الله تعالى على عرشه فوق سمواته ، وعلمه محيط بكل شيء ، ويرفع اليه أعمال العباد . فان قيل : ما معنى قوله (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) ؟ قيل : علمه والله على عرشه وعلمه محيط بهم . والآية يدل أولها وآخرها على انه العلم وهو على عرشه . هذا قول المسلمين .

وقال مالك رحمه الله : الله في السماء ، وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه مكان وقال احمد بن ابراهيم الاسماعيلي في كتابه (المسمى اعتقاد أهل السنة) قال : اعلموا رحمكم الله أن مذهب أهل السنة والجماعة الاقرار بالله وملائكته وكتبه وورسله ، وما نطق به كتاب الله ، وما صحت به اذرواية عن رسول الله ﷺ لا نعدل عما وردا به ، ويعتقدون أن الله تعالى مدعو باسمائه الحسنی ، موصوف بصفاته التي وصف بها نفسه ووصفه بها نبيه ، خلق آدم بيده ويدها مبسوطتان بلا كيف ، واستوى على عرشه ، وأحاط بكل شيء علما

وقال الامام محمد الهروي (١) صاحب التهذيب : الله تعالى على العرش ، ويجوز

« ١ » كذا في الاصل ولعله ابو اسماعيل عبد الله بن محمد الهروي

أن يقال في المجاز هو في السماء لقوله (أأمنتم من في السماء)

وقال الامام ابو الحسن علي بن مهدي الطاهري تلميذ الاشعري في كتابه (مشكل الآثار) له في باب قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) اعلم أن الله في السماء فوق كل شيء ، مستو على عرشه ، بمعنى أنه عال عليه ، ومعنى الاستواء الاعتلاء . كما تقول العرب ، استويت على ظهر الدابة ، واستويت على سطح الدار ، بمعنى علوته ، واستوت الشمس على رأسي ، واستوى الطير على قمة رأسي بمعنى علا في الجو فوجد فوق رأسي . فالقديم جل جلاله وتعالى عظمته عال على عرشه بذاته ، بائن من مخلوقاته لقوله (أأمنتم من في السماء . - وقوله - يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي - وقوله - تعرج الملائكة والروح إليه)

وزعم البلخي أن استواء الله على العرش هو الاستيلاء عليه ، مأخوذ من قول العرب * استوى بشر على العراق * إذا استولى عليها

[فالجواب] أن الاستواء هنا ليس بمعنى الاستيلاء ، لأن الله مستول على العرش وعلى جميع مخلوقاته من حين أوجدكم كما هو المعلوم من الدين بالضرورة فلا معنى حينئذ لتخصيص العرش بالاستيلاء عليه من دون سائر خلقه ، فبان بذلك بطلان قوله ، وكذلك أيضا الاستواء هنا ليس هو الاستيلاء الذي هو من قول العرب ، استوى فلان على كذا أي استولى إذا تمكن من بعد أن لم يكن متمكنا ، والباري عز وجل لا يوصف بالتمكن بعد أن لم يكن متمكنا تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث والآثار ، وما عليه الصحابة والتابعون ، وتابعهم وأئمة المسلمين من المجتهدين والمقلدين وبالله المستعان وعليه التكلان ، وفيما ذكر كفاية لمن له أدنى دراية وبالله التوفيق إلى سواء الطريق ، وحسبنا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين